
سلسلة الشيطان يحكي
العدد الاول
مطعم اللحوم البشرية
وحكايات أخرى
عصير الكتب
عصير الكتب للنشر الالكتروني

سلسلة الشيطان يحكي

(١)

مطعم اللحوم البشرية

وحكايات أخرى

د.أحمد خالد

عصير الكتب للنشر الألكتروني

2013 - 2014



إهداء

إلى أمي ..

أحببتك فاستحى قلبي أن يحب بعدك أحد .. يقول قلبي .. ما أدخلت بداخلي أحدا وأكرمته إلا لأجلها .. فما أدخلت الأب إلا لأني رأيته يكرمها .. وما أدخلت الأخ و الأخت إلا لأنهم أبناؤها .. وما أدخلت الزوجة إلا لأن فيها جزءا يشبهها .. ولن تدخل الابنة إلا لأنها من نسلها .. لو أن أحدا من هؤلاء أساء إليها للفظته خارجي و لأغلقت الباب دونه إلى الأبد

علمت أن الجنة بفردوسها و أنهارها و أبوابها .. ما كان لها أن توضع في مكان أكرم من أسفل قدميك .. وعلمت أن الله لا يكرمني الآن إلا لأجلك .. ولا يسترني الآن إلا لأجلك .. وأنه لن يرض عني حتى ترضين

د.أحمد خالد

مقدمة

ليس مهما أن أرحب بكم .. وليس ضروريا أن تستقبلوني بترحاب .. دعونا نتفق على ما سيحدث .. أنا هنا لأكتب .. وأنتم هنا للقراءة .. ليس من الضروري أن يعجبكم ما سأقول .. وليس عليَّ أن أصدع رأسي بتحملكم .. لذا لنبتعد عن المجاملات .. أنا شيخ مسن من النوع الذي لا يروق لأحد .. وأنتم مجموعة شباب فضوليين من النوع الذي لا يروق لي .. هكذا نكون قد ابتعدنا عن الرسميات البغيضة التي يصر البشر على استخدامها فيما بينهم .

سأتيح لكم الفرصة لمعرفة أكثر .. لكن ليس مني لأنني مصاب بداء الملل السريع .. ستسمعون كل شيء منهم .. بألسنتهم .. هم يعرفون كل شيء .. لأنهم رأوه رأي العين .. لا تسألوني من أنا .. تذكروا أنكم هنا لتسمعوا .. لا لتسألوا .. وإن لم يعجبكم ما سمعتموه فاذهبوا وفجروا رؤوسكم .. لن يحدث فارقا عندي .. تماما كما أنه لو انتزعت روحي مني في أحد نوبات الصرع الذي ابتليت به فلن يحدث فارقا لديكم .. هكذا اتفقنا.

حكاية بو (قصة حقيقية)

ترويها : فرجينيا كليم - بالتيمور (أمريكا)

" لازلت أذكر إدجار آلان بو .. ذلك الصبي الذي ماتت أمه ثم مات أبوه .. ثم مات أخوه الأكبر وجُنت أخته الصغيرة "

ليلة مظلمة هي .. باردة .. لها فحيح كفحيح ألف أفعى غاضبة .. لا يأتيها نور .. إلا على هيئة ظلال أتت لتدهن جدران الغرفة وتزيدها ظلاما .. أحاول أن أكتم سعالي .. لأنني أشعر بطعم الدماء إذا سعلت .. بل هي دماء حقيقية .. دماء صدري .. كنت أسعل دما .. فقراء معدمين كنا .. نبذل جهدا حقيقيا لنعيش بآدمية كبقية بني الإنسان ؛ ننام على فرش مثلهم و نشرب في أكواب .. نستر أجسادنا مثلهم .. ونستر أقدامنا.

أمام تلك النافذة المغلقة بإحكام كان يقف .. ينظر سارحا من خلالها لسماء لا يدري بم تهمس له بالضبط .. يسمع سعالي فيستدير .. ويتنهد .. ويقترب إلي .. يضم معطفه الموضوع على جسدي محاولا ألا يجعل للبرد فرجة إلى صدري .. لكن قدماي و ساقاي يرتجفان .. أراه ينظر إلىّ بتلك الملامح المميزة التي يمتلكها .. و كفه يمتد إلى جبيني .. أحيانا كثيرة يشعرني حنانه وحده بالدفء .. فأنظر له برضا .. و أبتسم بشحوب.

أتذكر لما قابلته لأول مرة في حياتي .. كنت طفلة في السابعة .. أتى إلى بيتنا عندما لم يبق له مكان آخر يذهب إليه .. أمي ماريا هي عمته .. وهي تعمل خياطة فقيرة في بالتيمور و بالكاد كانت تجد مصروفات منزلها .. بالرغم من هذا فهو لما دخل إلى بيتنا ، كانت سعادتها به لا توصف .. تلك كانت أول مرة أرى فيها إدجار .. إدجار آلان بو.

كانت طفلة

وكنت أنا طفلا
في هذه المملكة قرب البحر
تحاببنا بحب كان أكثر من حب
أنا .. و آنابيل لي

كان في العشرين من عمره .. لم أكن أعي عنه إلا أنه ابن عمي الذي توفيت أمه و توفي أبوه .. وهو هنا ليعيش معنا في هذا المنزل .. كانت له ملامح من الطراز الذي يجعلك تنظر لها مرارا بلا سبب واضح .. ملامح خلق فيها الحزن قبل أن تخلق .. كنت دائما أحدق في ملامحه لفترات طويلة كطفلة لا تكترث بإخفاء إعجابها .. كان ينظر إليَّ وقتها ويبتسم .. ربما كنت أنا الشيء الوحيد في هذا العالم الذي استطاع جعل هذه الملامح تبتسم.

عدت أسعل دما مرة أخرى .. نظر إليِّ بيأس وقلة حيلة .. ثم إنه نظر وراءه على الأرض إلى القط الذي كان يتثاءب في كسل و يموء في جوع .. رأيت إدجار يقوم من مكانه فجأة ويحمل القط .. ثم يقترب مني .. ثم يزيح تلك الملاءة الرقيقة عن صدري بهدوء .. ثم يضع القط على صدري .. كنت مندهشة .. لكن كفه كانت تمسح على شعري بحنان لو خرج من قلبه إلى الدنيا لملأها نورا و ضياء .. ثم نظر إلى القط الرابض على صدري والذي كان يحاول النزول لكن إدجار يمنعه .. و أخذ يمسح على رأس القط حتى نام .. نام على صدري .. ثم ضم إدجار علَيَ ذلك المعطف الذي كنت أرتديه .. ونظر إليَ بابتسامة وقال لي " عسى أن ينجح هذا القط التعيس في تدفئة هذا الصدر الجميل "

هذا الموقف أتذكره كل ساعة .. و لا أنساه أبدا .. كان إدجار يعشقني .. كنت أشعر أنه يود لو يخرج روحه و يهديها إليَ .. لم يكن يريد أن يفقدني بعد أن فقد كل شيء في حياته .. ولما كان يزورنا زائر في بيتنا للسؤال عني ، كان إدجار يصر أنني لست مريضة و أن كل ما لدي مجرد تمزق بسيط في أحد شراييني سرعان ما سيشفى.

أصدقاء آخرون قبله طاروا
وهو غدا سيتركني
كما مضت جميع آمالي من قبل

منذ أربعة و ثلاثين عاما كان إدجار يقف نفس الموقف .. لكن الراقدة على السرير تسعل كانت أمه إليزا .. كان وقتها في الثانية من عمره .. لا يفقه شيئا لكنه يشعر بحزن طفل يرى أمه تتألم وتبكي .. كان في تلك الغرفة التي لم تكن تختلف عن هذه الغرفة الفقيرة .. يقف هو و أخوه ويليام ذو الأعوام الأربعة بينما أخته الصغيرة روزالي تزحف على الأرض .. ظلت الأم تسعل وتنظر إلى أطفالها وتبكي .. كانت تحدث ويليام بصعوبة .. ثم رآها إدجار تنام .. ولم يرها إدجار ثانية .. لم يكن يدرك أن أمه قد ماتت.

كان أبوه قد مات أيضا قبل أمه بشهور .. هو حتى لا يعرف أبوه .. ولا يعرف شخصا يتذكر أبوه .. كأنه لم يكن .. تفرق الأبناء بعد موت أمهم .. ويليام ذهب إلى أقاربهم في بالتيمور .. وروزالي الصغيرة أخذتها عائلة أخرى في بالتيمور و تبنتها .. أما إدجار فقد تبنته امرأة عقيمة لا

تلد تدعى فرانسيس .. فرحت به فرحا كبيرا و تولت تربيته كما لو كان ابنها.

ربت مسز فرانسيس إدجار الصغير حتى العشرين من عمره .. كانت تعطف عليه جدا و تحبه من قلبها .. لكن زوجها آلان كان يكرهه .. ويرفض محاولاتها المستميتة لتبنيه .. وفي ليلة من تلك الليالي التي لا تنسى فارقت السيدة فرانسيس الحياة .. في تلك الليلة شعر إدجار بشعور مألوف .. شعور تشعر به عندما تتركك أمك وحيدا في الدنيا .. شعر به مرة وهو ابن سنتين .. و هاهو يشعر به الآن مرة أخرى.

تحفر كل جذوة ظلا على الأرض لها وهي تموت
وكم تمنيت أن يأتي الصباح
عبثا

بعد سنتين تقريبا من مجيء إدجار إلى بيتنا سمعنا عن مرض أخوه ويليام بالسل .. كان هذا الخبر يبدو مثل القشة التي قسمت ظهر إدجار .. كنت أرى تلك الملامح الحزينة تبكي .. وفي ذات يوم ذهبنا معه لزيارة ويليام .. كان نائما على ذات السرير الذي كان يتشاركه مع إدجار في طفولتهما .. وكان ويليام يسعل ويسعل بقوة .. و إدجار يخفي عينيه .. حتى انتهى سعال ويليام .. لم يجرؤ إدجار على فتح عينيه .. في تلك اللحظة كان أخوه ويليام أيضا قد فارق الحياة.

مرت سنوات على تلك الحادثة .. حتى أتى ذلك اليوم الذي ذهب إدجار

فيه لزيارة العائلة التي تبنت أخته الصغيرة روزالي .. لم يكن قد رآها منذ موت ويليام .. استقبلته العائلة المتبنية بابتسامات من النوع الذي لا يريحك عند رؤيته .. كان يريد رؤية روزالي .. وكان يبدو أنهم يخفون عليه أمرا ما .. ارتفع توتر إدجار إلى أقصاه و هم يماطلون في الإجابة عن حال روزالي و أخذ يصرخ فيهم كالمجنون .. لم يكن ليتحمل لو عرف أنها تركته هي الأخرى .. كان سيقلب هذه الدنيا رأسا على عقب .. لكن العائلة هدأت من روعه و قالوا له أن أخته روزالي تتمتع بصحة جيدة .. لكنها حاليا تقيم في مكان أكثر أمنا .. مستشفى الأمراض العقلية.

انهار إدجار .. وسقط على الأرض يضربها بقبضتيه .. لم يكن لبشري أن يتحمل كل هذا .. ليس هذا فقط .. بل كانت هناك أيضا صدمة عاطفية مرت به منذ فترة ليست بالقليلة و هزت أوصاله .. كان يحب فتاة تدعى ساره رويستر تدرس معه في جامعة فيرجينيا .. لكنه اكتشف فجأة أنها لم تعد تريده بعد اليوم و أنها تزوجت من أول رجل ثري طلبها للزواج .. لذا رأيت بعيني إدجار الذي لم يكن قد أكمل الخامسة و العشرين من عمره ينهار .. وكنا نهون عليه نواسيه خشية أن يقتل نفسه.

لازلت أسعل الدم .. كان سعالي يبدو كالصراخ المتقطع .. وهناك وقف إدجار آلان بو ينظر إليَ .. لازلت أذكر ذلك اليوم الذي طلب فيه من أمي الزواج مني و أنا لم أبلغ الثاثة عشر .. أمي ماريا وافقت بفرحة غامرة و كأنها كانت تنتظره .. كان فقيرا جدا .. ودائما سيتذكره التاريخ

بأنه كان أول شاعر و كاتب يعتمد على كتاباته كمصدر رزق وحيد له لم يجرب غيره .. تلك الكتابات التي لم يهتم بها أحد في حينه .. أذكر أن أكبر جائزة فاز بها كانت مائة دولار في أحد المجلات التي يرسل إليها أعماله.

كان إدجار دائما ما يمسك يديً بتلك اليد الدافئة التي يمتلكها ويهمس لي ألا أتركه وأرحل .. و أن أتمسك بالحياة .. و دفئه هذا وحده هو الذي جعلني أقاوم لفترة طويلة رغم القحط الذي كنت أعيش فيه .. كنت أحبه .. أعشقه .. لكنني في ذات ليلة .. عرفت أن لحظتي قد حانت.

همست باسمه في خفوت .. التفت إليَّ من بين همومه وهرع إلي ممسكا بيدي .. قلت له أنني أحببته .. منذ كنت في السابعة من عمري .. اتسعت عيناه الحزينتين في قلق وترقرقت بالدموع .. همست باسمه مرة أخرى .. نظر إليَّ من بين دموعه .. لم يعرف أبدا ما كنت أريد أن أقوله له .. لأنني لم أعد معه .. كنت قد تركت له الغرفة وحيدا ينادي علي .. وسمعت نحيبه و أنا أحلق بعيدا.

يا هذا النبي أيها الشرير
طيرا كنت أو إبليسا أو نبيا
بحق هذه السماء فوقنا
بحق رب واحد نعبده أنا و أنت
قل لروح يسحق الحزن حشاها
هل أستطيع أن أضم الغادة القديسة التي يسميها الملاك لينور؟
أعانق الطاهرة المشعة التي يسميها الملاك لينور؟

قال الغراب
أبدا بعد اليوم

لم يقدر إدجار حتى أن يوفر نفقات دفني .. لكن الجيران تطوعوا للقيام بهذا الأمر .. وعاش وحيدا من بعدي .. و أصبح يكتب بغزارة .. وكأن الكتابة ستعيد له ما فقده .. كتب عني قصيدتين .. وفي كل واحدة منهما سماني باسم قال أن الملائكة تسميني به .. فكنت "لينور" في قصيدة سماها "الغراب" .. و آنابيل لي في قصيدة بنفس الاسم .. إدجار كان زعيما للقصائد الرومانسية و قصص الرعب والغموض القصيرة .. وحتى القصص البوليسية .. كان بارعا جدا في كتاباته .. الذوق الأمريكي زعم أن كتاباته كانت مليئة بالفوضى و الغموض .. لكن الذوق الفرنسي فهمه و تذوقه و ترجم جميع أعماله.

في هذه المملكة قرب البحر
هبت ريح من غمامة في الليل
قضت على آنابيل لي
فجاء أقاربها النبلاء
وحملوها بعيدا عني
ليدفنوها في قبرها
في هذه المملكة قرب البحر

حاولت مرات في صغري و هو في بيتنا أن أقر كتاباته .. رأيت مرة شعرا كتبه عنوانه " الأعراف " .. قرأت بعضه لكنني لم أفهم شيئا .. لم

أعلم أنني قد وقعت على القصيدة التي كتبها إدجار آلان بو في سن الخامسة عشرة من عمره والتي قلما يفهمها الكبار عند قراءتها .. كانت تتحدث عن شيء غريب .. تتحدث عن أناس واقفين في مكان يدعى الأعراف .. و أنهم تساوت خطاياهم مع حسناتهم .. لا يعلمون إلى أي المصيرين سيكون مآلهم .. إلى النار .. أم إلى الجنة .. كانت كل معلومات القصيدة مستقاة من سورة الأعراف في القرآن الكريم .. كتاب المسلمين .. وتلك كانت أطول قصيدة كتبها إدجار في حياته .. و لا أدري كيف وصلت له سورة الأعراف وهو في تلك السن الصغيرة.

لا يسطع ضياء القمر إلا و يجلب لي الأحلام
عن آنابيل لي الجميلة
و لا تلتمع النجوم دون أن أرى فيها
عيني آنابيل لي الجميلة
و هكذا أقضي الليل مسهدا
و أرقد بجوار حبيبتي .. حياتي .. عروسي
في ضريحها بجوار البحر
في قبرها بجوار البحر

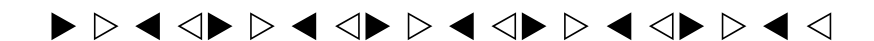
بعد سنوات مضت بثقل .. في أحد شوارع بالتيمور بعد منتصف الليل .. كان يمشي رجل يدعي جوزيف والكر بهدوء متجها إلى منزله .. لكن مشهدا استوقفه وجعل عينيه تتسعان .. رجل فقير في حالة يرثى لها ملقى على الأرض .. كان يبدو يائسا بائسا وكأنه خرج من بين تراب هذا الشارع المقفر .. كان يحتاج لإسعاف عاجل .. طلب جوزيف

الإسعاف وتم نقل الرجل إلى مستشفى كلية واشنطن القريبة .. و مدفوعا بالشهامة وحدها تابع جوزيف الرجل وهو في المستشفى للاطمئنان عليه .. كان الرجل أبعد ما يكون عن التمسك بالحياة .. وحاول المسعفون كل ما أمكنهم .. بلا فائدة .. يقول جوزيف أنه سمع الرجل ينادي بخفوت و يقول " يا إلهي .. ساعد روحي المسكينة يا إلهي " ثم فارق الحياة.

- هل تعرف اسم هذا الرجل يا مستر جوزيف؟
- لا .. لقد وجدته ملقى في الشارع يتلوى
- دعني أر هنا .. هذه الأوراق التي يحملها .. هذا هو اسمه .. حسنا شكرا لك مستر جوزيف
- ماذا هو اسمه؟
- إنه يدعى بو .. إدجار آلان بو .. هل مرعليك الاسم يا مستر جوزيف؟
- لا .. كان فضولا ليس إلا

لم يُعرف حتى الآن السبب الحقيقي لوفاة إدجار آلان بو .. لكن سجلاته الطبية تشير إلى أنه يُحتمل أن يكون من الخمر أو الكوليرا أو الذبحة الصدرية أو حتى السل .. ليس هناك شخص يعرف تحديدا .. أعلنت وفاته بعد يومين في الجريدة المحلية و تم دفنه في الميريلاند في بالتيمور .. استغرقت جنازته بالضبط ثلاثة دقائق في جو بارد و أجواء مقبضة.

حمداً لله
قد انتهى الخطر .. وولى المرض الطويل
وانتهت الحمى التي يسمونها "الحياة"
أعرف أن قواي قد فارقتني
وأنني عاجز عن تحريك عضلة واحدة
لكن هذا لا يهم
أشعر أنني أفضل حالا بكثير
لقد سكن كل هذا الأنين والعواء والتنهد و البكاء
ومعها سكن ذلك الخفق الرهيب في القلب
لقد انتهت الحمى التي يسمونها "الحياة"



حكاية الزلزال

(قصة حقيقية)

يرويها : أحمد أرونتشي - اسطنبول (تركيا)

" عندما ترى سبعين طابقا ينهارون أمام عينيك ..
وترى موجا تحتاج لرفع رأسك حتى ترى نهايته ..
عندئذ تعرف أن الله غاضب .. وأنك إذا مت في كل هذا
فأنت في مأزق كبير"

" سيداتي وسادتي نأسف لقطع برامجنا لإذاعة هذا الخبر العاجل ..
ضرب زلزال قوي بلغت درجته ٧,٤ Mw منطقة وسط تركيا ، و أدى
إلى وفاة ١٧,١١٨ شخص على الأقل و إصابة ٥٠,٠٠٠ آخرين
بالإضافة لآلاف من المفقودين و 600.000 مشرد، و أضرار شديدة
في مقاطعات اسطنبول و كوكايلي و ساكاريا ، و نفيد بأنه .. "

كلنا سمعنا هذا الخبر على شاشاتنا في عام ١٩٩٩ .. لم نهتم كثيرا
كعادتنا .. بل إن من كان منا يتابع برنامجا ما أخذ يلعن في سره تلك
الأخبار السوداء التي لاتنتهي والتي تؤدي لانقطاع البرامج دائما ..
سمعناه في لحظة ونسيناه في التالية .. لكن تلك الكلمات المقتضبة التي
حملها الخبر كانت تعني شيئا آخر في تركيا .. شيئا رهيبا .. عائلات
كاملة أبيدت .. نساء ترملن فجأة .. أطفال ماتوا ولا يدرون لذلك سببا ..
وقد كنت - لسوء حظي - أعيش في كل هذا .. أعيش في اسطنبول.

في اسطنبول في البداية سمعنا أن هناك زلزالا قد ضرب مدينة إزميت
ودمرها شر تدمير .. سمعنا هذا ولم نهتم كثيرا .. فرغم أن إزميت
ليست بعيدة جدا .. إلا أن هذه الأشياء تحدث للآخرين فقط .. لا نتخيل
أن نصبح نحن ذات يوم خبرا في التلفزيون يعرضنا نولول على حالنا
ويرانا كل العالم .. هذا يبدو مستحيلا .. و كما اتضح لاحقا .. كنا سذج
.. لقد أصبحنا بعدها بيومين أهم خبر تتناقله جميع القنوات والصحف
العالمية .. خبر تدمير اسطنبول.

المكان : مدرسة أوزيل المتوسطة في اسطنبول
المشهد : معلمة تكره اليوم الذي أتت فيه لهذا المكان
السبب : مجموعة من الطلاب والطالبات الأغبياء - نحن -

كانت المعلمة - التي تدعى صحاري - تشرح درس اللغة الإنجليزية في فتور .. تسأل أسئلة لا تنتظر إجابتها لأنها تجيب عنها بنفسها بعد ثانية واحدة .. الطلاب لا يبدو أنهم يعرفون معنى لغة إنجليزية بعد .. فالأتراك ضعاف في هذه اللغة بطبعهم .. وكل من يزورهم سيعاني الأمرين في توصيل معلومة ما لهم .. كنا ننظر إلى ساعة الفصل متسائلين عن هذا العقرب السخيف الذي لا يتحرك أبدا .. بقيت نصف ساعة كاملة .. بدأنا ندعو على المدرسة بالخراب وعلى وزارة التعليم بأكملها .. ولقد استجاب الله دعواتنا هذه في اللحظة التالية مباشرة.

إن الفصل فيه مجموعة من الخزانات المثبتة على الحائط .. وكل خزانة فيها مفتاح يتدلى من قفلها .. كل خزانة تخص أحد الطلاب في هذا الفصل .. رأيت هذه المفاتيح تتحرك يمينا وشمالا بعصبية غريبة .. هل هذه المفاتيح قد جنت؟ فجأة سمعنا صرخة من مكان ما وصوت جلبة طلاب .. توقفت المعلمة عن الشرح لتصغي إلى ما هنالك .. لكن القدر لم يمهلها لحظة أخرى .. اهتزت الأرض من تحتنا فجأة بعنف .. لم نكن نعرف كيف يمكن أن تهتز هذه الأرض الوديعة التي نمشي علها .. ولم يكن هناك وقت لنتساءل عن كيف اهتزت .. رأينا طاولاتنا تقع علينا في لحظة .. ثم نرتد نحن ونقع عليها في اللحظة التالية .. المعلمة تتعثر على الأرض ولا تستطيع الهرب .. وهنا حدثت المهزلة.

إنه زلزال .. ضربنا زلزال .. الطلاب أصبحوا يجرون خارج الفصل بلا هدف .. وقد كنت من أول الطلاب الذين جروا .. مدرستنا فيها أكثر من ألفي طالب .. كلهم وجدتهم بالخارج يجرون في كل الاتجاهات .. ذلك المرمى الخاص بكرة القدم وقع وأحدث دويا هائلا .. الفتيات - كعادتهن الأزلية - يصرخن في هيستيريا .. إن الفتيات يصرخن إذا رأين فأرا مسكينا .. فما بالك بالزلزال .. لقد صممن آذاننا بصراخهن .. الأولاد فقط يجرون كالبلهاء في رعب .. أرى واحدا يمسك حقيبته ويجري بها .. ياله من مهذب .. لكن لم يكن هناك مهرب .. الزلزال في المدرسة وخارج المدرسة .. إلى أين ستهرب إذن؟ لكننا هربنا إلى الشارع الذي كان حاله أسوأ بكثير .. الناس خرجت من سياراتها ومن بيوتها هاربة إلى مكان ما .. لقد كان يوما رهيبا.

أرى الآن ذلك الإعلان الكبير الذي طالما كرهته يسقط من حالق .. ولحسن الحظ لم يجد من يقع عليه كما نرى في الأفلام دائما .. ترى أين نهرب؟ أنت تجري خطوتين وتقع في الثالثة .. إن الأرض تهتز ياصديقي .. تهتز ..

قررت الذهاب جريا إلى البيت فهو في نهاية هذا الشارع .. لكنه بدا لي وكأنه في أقصى الأرض .. عليك أن تدور حول ألف سيارة وتتجاوز عشرة آلاف جسد قد احتشدوا في الشارع .. لا بأس من المحاولة .. وجريت باتجاه البيت .. ظنا مني أنني سأجده أكثر أمنا.

فجأة هدأت الأرض .. لم تعد تهتز .. توقف المشهد كله كأنك ضغطت على زر Pause في الريموت كنترول .. لم تعد تسمع صوتا .. فقط

أصوات نظرات الدهشة - لو كانت لها أصوات - ترى أين نذهب الآن؟ هل هي النهاية؟ أم أن هناك هزة أخرى قريبا؟ هل نصعد لبيوتنا؟ ماذا إذا صعدنا وأتتنا هزة أخرى؟ عندها سيكون النزول مستحيلا .. الحل أن نبقى هنا إذن .. ولكن هل نبقى هنا طوال حياتنا؟ هذا هو الحل الوحيد إذا أردت أن تبقى حيا .. إن الزلزال الذي مر بنا - حسبما درسنا - هو خفيف .. لا يتعدى كونه هزة خجول .. ماذا إذا تبعه ما هو أعظم منه؟ إن الموت مرعب جدا عندما يأتي على غفلة .. عندما تشعر أنك ستموت قريبا .. ربما لو مرضت مرضا شديدا لكان الأمر أهون .. أما أن تموت هكذا فجأة .. فهو شيء رهيب حقا.

الناس كلهم احتشدوا في الشارع أمام بيوتهم .. ولحسن الحظ فإن هناك ساحة ترابية واسعة جدا أمام بيتنا .. جلس في هذه الساحة كل من يسكن في مبنانا والمباني المجاورة له .. الكل فقط يجلس .. ولا أحد يجرؤ على دخول بيته .. أتى والدي ووالدتي وخالتي وجميع جيراننا .. إنه مشهد مخيف .. كل هؤلاء قد جمعهم الخوف .. لن تصدقوا إذا قلت لكم أننا جلسنا في هذه الساحة حتى منتصف الليل .. تسع ساعات كاملة لا يأمن أحدنا الذهاب إلى بيته .. يا لضعف وهوان الناس وسخافتهم .. إنهم حقا لا يحتاجون لأكثر من هزة عنيفة مدتها أقل من ربع دقيقية .. بعدها ينتهي كل شيء .. تتحطم مبانيهم وأحلامهم ويموتون بحسرتهم أو تدق عنوقهم .. يالغرورهم .. أسمع منهم من كان حلمه أن يصير أغنى الناس وأكثرهم أناقة .. وهاهو الآن يجلس أمامي ينظر بين لحظة وأخرى في أسى إلى بيته الذي لا يجرؤ على دخوله .. الأطفال يتسلون بالبكاء .. من لديه وقت ليهتم بهؤلاء الأغبياء؟ أحدهم جائع .. وإحداهن

لا تحب الجلوس على التراب .. وأحدهم يريد النوم .. إن الأمهات يتعبن حقا .. وهاهو منتصف الليل قد أتى وأخذ الناس ينظرون بعضهم إلى بعض .. ترى هل يجرؤون؟

إن الليل بدأ يزحف .. الجلوس على هذا التراب متعب نوعا ما .. لقد كنت في ذلك الوقت في الخامسة عشر من عمري .. إني أرى الآن أكثر من ثلاثمائة إنسان احتشدوا في هذه الساحة الترابية التعيسة .. بعض الشباب العابث كانوا لايزالون يجدون في أنفسهم القدرة على الضحك وقول النكات البذيئة .. بعض الأطفال أخذو يجرون وراء بعضهم وهم يظنون أننا في نزهة جماعية لزيارة الساحة التي أمام بيتنا .. النساء كففن - أخيرا - عن الثرثرة وأصبحن ينظرن إلى أطفالهن في صمت .. مجموعة من الرجال وجدوها فرصة مناسبة للحديث عن الحكومة التركية وكيف أنها لا تعطي المواطن حقوقه الكاملة إلى آخر هذا السخف .. أما نحن - أنا وشلّتي - فما كان يعجبنا حقا أننا سنأخذ إجازة من المدرسة لمدة طويلة .. هذا ممتع .. ربما لن نعود لها أبدا .. لأن هذا الزلزال سيكون قد قضى عليها .. أو علينا.

كنا نشتري الأكلات الجاهزة من المطعم القريب المتحمس .. ونشرب عصائر حتى امتلأت بطوننا منها وأوشكت أن تفور منا - العصائر وليست بطوننا طبعا - ماهذا الذي أراه؟ إنهم يجتمعون للصلاة .. شر البلية مايضحك .. إن أغلبهم لم يكن يحضر أساسا لصلاة الجمعة .. مهلا .. هذا الرجل السكير الأصلع الذي يسكن في الشقة التي تحتنا .. إنه سيصلي .. لقد ظننته مسيحيا .. لم يكن يجيد سوى شرب الخمر ليل

نهار .. إن هزة صغيرة قد فعلت بالناس كل هذا .. فهل ستكون الأخيرة؟

أتت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .. إن البعض يسقط نائما و لا يقدر على المواصلة .. وهنا ارتفع صوت الجدال في شيء ما .. فريق يرى أن يقضي ليلته هنا .. والفريق الآخر يرى أن يذهب للبيت .. وكنا نحن مع الفريق الثاني .. كان بعض الناس مذبذبين .. لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. لكن النوم سلطان كما يقولون .. إذا متنا سنموت ونحن نيام .. ولن نستيقظ لنرى يوما جديدا أبدا .. هذا أفضل من موتتنا هنا كالفئران .. ثم إن البرد قد بدأ يزحف إلى عظامنا .. لا شيء أفضل من سرير دافيء بعد قدح من الشاي الساخن الآن .. وهكذا حسم الكثير أمرهم وتوجهوا لبيوتهم أخيرا .. حقا كانت ليلة رهيبة.

إن الهزة التي وقعت كانت قوتها ٤ على مقياس ريختر .. للأسف لم نكن نعلم أننا لازلنا في البداية .. وما أتى بعد ذلك لهو مما يشيب له الولدان حقا و ليس تعبيرا.

مالذي ستشعر به عندما تضم إليك لحافك في ذات فراشك الدافيء وتحاول أن تنام شاعرا أن هذه الليلة قد لاتصحو منها أبدا؟ قد تكون الأخيرة .. إن مبدأ - يحدث للآخرين فقط - قد اختفى تماما .. وأصبحنا نتوقع الأسوأ دائما .. لكننا كما قلت لم نزل في البداية .. فأرض اسطنبول كانت تدخر لنا العديد من المفاجآت.

مرت هذه الليلة بهدوء شديد .. لم يحدث فيها شيء .. لم نسمع صوت حيوان أو إنسان .. الحيوانات غادرت منذ مدة طويلة .. فهي تشعر بالزلازل بفطرتها قبل حدوثها .. الناس صامتون في رعب لا يدرون أيناموون أم يقاومون .. هناك مجموعة منهم في الأسفل في تلك الساحة الترابية فضلوا الجانب الآمن .. لكن حالهم كان مزريا .. يكادون يقعون من فرط السهر .. بعضهم ارتمى على التراب وقد غلبه النوم تماما و لم يستطع التحمل .. فليحدث ما يحدث .. لكنه شعر أنه سيموت حقا إن لم ينم الآن .. حال تعيسة .. إن من استمعوا لأخبار زلزال اسطنبول قالوا أن زلزالا شديدا أصاب اسطنبول وكاد يفتك بها .. ثم تلته خمس زلازل متتالية مفاجأة .. قلت لكم أن أياما حافلة كانت تنتظرنا.

ما أرعبنا أكثر هو الأخبار .. التي أخذت تتناقل في حرارة أن هناك مصيبة قادمة علينا وأننا يجب أن نحتاط لكل شيء .. كيف نحتاط؟ أخذوا يعرضون برامجا كثيرة عن كيف يكون التصرف إذا واجهك زلزال .. حاول تقضية أغلب الوقت خارج بيتكم .. تخل عن بخلك - ولو للحظة - ولا تفكر في إنقاذ أي شيء ثمين .. إلى آخر هذه الدروس الي أصابتنا بالغثيان .. أصبح التلفزيون التركي يعرض فقط قرآن .. ألغيت قناة Cine 5 الإباحية تماما بعد أن كانت في كل تلفزيون تقريبا .. ثم بعد كل هذا .. أتتنا الضربة التالية فجأة.

كان الوقت ليلا .. كنت أشتري بعض الشطائر من ذلك المطعم الذي يشكر الزلزال ألف مرة .. ويتمنى حدوثه مرة كل شهر .. فالزبائن

أصبحوا بالمئات .. أنتظر بملل أن يتم إعداد تلك الشطائر اللعينة .. ألقي بنظرة على تلك الساحة الترابية .. الناس أصبحت أكثر تحررا .. يتحدثون بصخب .. بعضهم يضحك .. بعضهم أتي " بمرتبة " ولحاف وتدثر بهما ونام .. ثم خيل إليَّ أنني أسمع صوتا ما .. صوت لا تدري كنهه ولكنك تعلم أنه صوت كارثة .. وفجأة مالت الأرض التي كنت أقف عليها بعنف .. ثم مالت للناحية الأخرى في أقل من ثانية .. ثم أصبحت تهتز .. لم أعرف ماذا أفعل .. صوت صرخات رهيبة تصم أذني .. هرج ومرج وركض وقفز .. حاولت الخروج خارج المحل لكن العاملين كانوا قد داسوا عليَّ في طريق خروجهم .. زجاجات "الكاتشاب" و "المايونيز" تتطاير كأنها قذائف .. كان هذا زلزالا حقيقيا .. كان ما حصل في السابق لعبة بالنسبة لهذا الذي أراه الآن .. جريت بأقصى سرعتي نحو الساحة .. انضممت لعائلتي .. الكل يحاول التوازن وينظر بحذر إلى المباني متوقعا سقوطها على رأسه .. لكننا نسينا شيئا مهما جدا .. عمود الإنارة الذي قد وجدها فرصة لإثبات وجوده .. عمود الإنارة يسقط .. يسقط في منتصف الساحة .. ورغم أنه سقط ببطء نوعا ما وابتعد الكثيرين عن طريقه .. إلا أنه قابل رأسا واحدة أعجبته فهشمها عن آخرها.

- أحمد انظر لعبتي .. إنها جديدة وليست كلعبة فولكان المغرور .. ماما أحضرتها لي في العيد
- هذه جميلة .. هل هي من متجر "جوزيل أويونلار"؟
- لا .. إنها من كابيتول
- حسنا أرني إياها يا شايدا

لعبة فيها خمسة أزرار .. كل زر يسمعك أغنية جميلة .. مثل أغنية Happy Birthday To You وأغاني أخرى رقيقة .. تصنعت الاهتمام حتى لا أغضب شايدا.

- بكم هي هذه التحفة يا عزيزتي؟
- هيء .. لن أقول لك؟

وجرت رافعة باللعبة إلى الأعلى وكأنها تحمل كأس العالم وهي تغني أحد الأغاني التي في اللعبة .. نظرت لها .. ياإلهي .. لقد كنا هكذا قبل عشر سنوات .. إن الإنسان يتغير حقا .. لكن القدر لم يمهل شايدا حتى تتغير مثلنا .. كانت هي الأولى .. أول ضحية رأيناها لزلزال اسطنبول المرعب.

شايدا لم تجد الوقت لتهرب .. لم تكن تملك حذرنا وسرعة استجابتنا .. لم تكن تملك أي شيء .. ووالديها كانا بعيدين نوعا ما عنها .. من الخطأ أن تترك فتاة تلهو هكذا وأنت تعرف أن زلزالا سيضربك في أي لحظة .. لكن الزلزال لم يمنح والديها حتى حق البكاء عليها .. لقد اشتد علينا فجأة وبدأت أشياء أخرى تقع.

أرى الآن بعض " الشماسات " التي نضعها فوق المداخل لاتقاء الشمس قد تهشمت على الأرض .. علما بأنها مبنية من الطوب .. أرى

كذلك بعض الذين كانوا بداخل بيوتهم يخرجون منها وكأن شياطين العالم كلها تطاردهم .. لسنا وحدنا الذين نصرخ .. هناك صرخات في كل مكان تقريبا .. وفجأة هدأت الأرض.

لازلت أشعر برجة ما تحت قدمي .. لكنها خفيفة نوعا ما .. وهنا بدأت المناحة .. ورغما عني بكيت كمن فقد كل شيء .. إن شايدا كانت تلعب أمام عيني منذ دقائق محاولة لفت الأنظار كعادة الأطفال دائما .. كيف ماتت هكذا فجأة؟ إنها لم .. إنها تهشمت .. المسكينة .. لم أجرؤ على النظر إلى ما حل بها .. وسمعت عبارات كفر كثيرة مثل " يا رب ألم تجد سوى هذه الطفلة لتقتلها " .. كانت هذه من أمها التي لن أصف لك حالها لأنه لا يخفى عليك " يا رب ماذا فعلنا لك حتى تقتل شايدا؟ " .. إنها تصرخ وكأنها تؤنب شخصا ما .. هذه المجنونة .. " يارب مالذي .. " وهنا حدثت الهزة الثالثة لتريحنا من كل هذا الصراخ.

ذات مرة قرأت لنا لنا شايدا سورة الفاتحة - غيبا - بفخر وهي تتمايل يمينا وشمالا في خجل .. إن دموعي عليها لم تجف بعد .. ولم أجد الوقت لأجففها .. ها أنا أنظر لكارثة أخرى .. في الأفق تقريبا رأيت ذلك المبنى العالي يتمايل .. كنت دائما أنظر إلى ذلك المبنى وأنا صغير وأحاول عد طوابقه .. كل مرة أصل للخمسين وأتعثر ثم أعيد العد منذ البداية .. عرفت بعدها أن المبنى كان سبعين طابقا .. أراه الآن يتحرك .. ثم حولت نظري ناحية صوت آخر قادم من مكان ما .. وعندما نظرت إلى المبنى الطويل ثانية لم أجده .. نزلت بنظري لأسفل قليلا فوجدته ينهار .. ياللهول .. إن المشهد لو رآه أعظم أديب سيحار في

كيفية وصفه .. المبنى يقصر شيئا فشيئا ويتكسر .. ثم تهوي القطعة العلوية كالكارثة وتقرر القطعة السفلية أن هذا يكفي فتبقى في مكانها .. لم يعره أحد اهتماما كبيرا .. كل أصبح له ما يشغله .. كلفني أبي بحماية أختي سارة التي كنت لأموت دونها .. لقد كان الله غاضبا .. نعم شعرت بهذا .. ويالتعاستنا نحن البشر الذين جلبنا كل هذا لأنفسنا.

أعود بكم إلى المشهد الممل الذي عشناه و ظللنا نعيشه فترات طويلة .. مشهد الساحة الترابية التي أصبحنا نحفظ كل شبر فيها .. لقد هدأ كل شيء بعد الزلزال الأخير .. لم يذهب أحد من حيِّنا ضحية أي شيء .. لا أحد سوى طفلة صغيرة تدعى شايدا .. شايدا الجميلة ..

إنه الليل في اسطنبول الآن وجميع الجيران محتشدين في الساحة .. ينتظرون هزة أخرى قد تحدث في أية لحظة .. الهزة الأخيرة مرت عليها أكثر من ثلاث ساعات الآن .. ونحن جاوزنا منتصف الليل بكثير .. لكن في هذه المرة لم يجرؤ أحد على النوم فعلا.
ثلاث ساعات أخرى مرت كدهور .. الناس تحسبهم سكارى .. لكن الكل يعلم أن النوم هو المنتصر دائما .. في هذه المرة لم يذهب أحد إلى بيته لينام .. الكل سينام هنا اليوم .. كلنا سننام على التراب اليوم .. تبرع بعض الشباب الشجعان بإحضار بعض الفرش من المنازل .. فرشنا على الأرض كلنا .. وجلسنا .. بعضنا نام .. لو رأيتنا لوقعت على الأرض من الضحك .. تخيل يا عزيزي .. أكثر من ثلاثمائة شخص

بين رجل وامرأة وطفل وعجوز ينامون معا على التراب .. ليس من فقر أو مجاعة .. ليست نزهة جماعية .. إنه الخوف .. الخوف من الموت .. الخوف من الموت مهشما إذا انهار سقفك فوقك فجأة .. صدقا كنا نشعر بالرعب .. مالذي كان سيحدث لو لم تكن هذه الساحة موجودة؟ إن الله رحيم بنا .. رحيم بنا في غضبه علينا.

رقدت على ظهري .. وجهي إلى السماء التي كانت - وياللعجب - جميلة جدا في تلك اللحظة .. هل سأعد النجوم حتى أنام؟ هل جرب أحدكم أن يعد النجوم حتى ينام؟ إنه عمل مسل جدا .. ليس هناك أمتع من أن تنتظر للنجوم في ليلة صافية .. في مكان مظلم كالذي نحن فيه الآن .. مظلم بعد سقوط أعمدة الإنارة كلها .. بعض النجوم تتلألأ .. بعضها تتحرك .. شيء ما يلمع في الأفق ثم يختفي قبل أن تدري كنهه .. كيف تكون السماء سعيدة هكذا والأرض غاضبة؟

إن النعاس بدأ يتسرب إليَّ كالأفعي التي تلتف حول قدميك .. ثم لا تلبث أن تحيط بجسدك كله .. من ذكر سيرة الأفاعي الآن؟ تذكرت الآن أنه ربما توجد عقارب في هذه الأرض الي ننام عليها .. لكن لا أظن .. إن العقارب أخافها الزلزال منذ مدة .. شيئا فشيئا أخذت أغفو ثم أصحو لأجد النجوم بنفس ترتيبها .. أسمع بعض الناس يتكلمون في شيء ما بالجوار .. ثم أخيرا استسلمت ونمت.

- أحمد هلا ضربت لي هذا العمود هناك؟

- لماذا يا شايدا؟ .. إن العمود واقف في حاله يا حبيبتي
- لا .. لقد قتلني .. سقط على رأسي وقتلني
- وهل تأذيت؟
- نعم قليلا .. انظر

نظرت إلى مكان الجرح في رأسها .. فوجدت مالا يمكن وصفه مراعاة لشعور البعض .. رأس مهشم كأن مطرقة أسطورية قد هوت عليه .. بعض أحشاء الدماغ تبرز للخارج.

- أحمد اضرب لي العمود
- اضرب لي العمود
- العمود يا أحمد
- سقط على رأسي وقتلني
- انظر

وهنا استيقظت في فزع .. كنت نادرا ما أعرق .. لكني فعلتها الآن .. وفي هذا البرد .. منظر أشد غرابة واجهني .. أكثر من سبعين جسد نائم على الأرض .. كأنها جثث في مذبحة جماعية .. أين والدة شايدا؟ هاهي هناك .. إنها لازالت ساهمة تنظر إلى الأرض كأنها ستخترقها ببصرها .. يالبشاعة مارأيت في المنام .. لكني برغم كل شيء .. كنت سعيدا .. سعيدا لأنني رأيت وكلمت شايدا الجميلة مرة أخرى.

الصباح بكل نوره وصخبه قد وصل .. بدأنا نقوم واحدا تلو الآخر كالسكارى .. الكل عيونهم منتفخة من آثار الليلة الرهيبة .. هنا لن تغسل وجهك ولن تمشط شعرك .. هنا أنت على حقيقتك المريعة .. منظر البعض كان مرعبا أكثر من الزلزال نفسه.. ثم من هذه هناك؟ يا إلهي .. إنها مدام هيلال .. إنها تبدو مخلوقا فضائيا بدون مكياجها .. دائما ما كانت تعذب نفسها وتعذبنا معها بلبس الكعب العالي .. يبدو أن هذا الزلزال مفيد نوعا ما.

خمسة أيام كاملة مرت علينا في هذا العذاب المقيم .. الكثير من الجماعات والأحزاب تكونت فيما بيننا .. الكثير من الأصدقاء صاروا أعداء والعديد من الأعداء صاروا أصدقاء فجأة .. هل هي النهاية؟ أم أن هناك هزة أخرى وأخرى قريبا؟ إن التليفزيون لا يقدم شيئا مفيدا عن الأمر .. إن الدراسات تعجز تماما عن التنبؤ بأي شيء .. لكنها لم تكن عاجزة عن معرفة إذا ماكان زلزال ما قد انتهى أم أنه سيكون له توابع .. وهذا كان أملنا .. كل يوم نتابع التلفزيون وجميع الأخبار العاجلة التي يقدمها .. يا إلهي إننا أقل منطقة حدث فيها الخراب .. إن المنطقة الأوروبية من اسطنبول كادت أن تدمر .. ياللهول ما كل هؤلاء الموتى؟ ونحن الذين ظننَّا أننا نتعذب .. ماذا حصل لقصر توبكابي؟ لم يمس .. لا أستغرب هذا وفيه آثار محفوظة لحبيبنا وسيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم سلام.

ليلة مملة أخرى .. الناس أصبحت الآن مستعدة للنوم بسهولة أكثر عن ذي قبل .. وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .. فزع الجميع مرة

أخرى .. سمعنا صوت هدير مفاجيء اخترق الصمت مقتربا في قسوة .. أصغينا السمع .. هذا صوت مألوف .. إنه ليس زلزال .. هو صوت هليكوبتر .. رأيناها تحلق فوقنا كأنها تستطلع المكان بكشافاتها التي أعمت عيوننا تماما .. وفجأة دوى صوت آخر .. صوت مايكروفون.

"إلى جميع سكان منطقة أوسكودار الأعزاء .. نعلن أن هيئة الأرصاد قد درست الأمر جيدا ونفيدكم بأنه يمكنكم العودة إلى بيوتكم آمنين .. فأقوى مرحلة من الزلزال قد مرت عليكم بخير .. وجميع توابع الزلزال - لو حدثت -ستكون أضعف من أن تؤثر فيكم تأثيرا مؤذيا .. أكرر .. "

همهمات عمت في أرجاء الساحة .. من كان نائما جلس .. ومن كان جالسا وقف .. الناس يتحدثون في حماس عن هذا الخبر الجديد .. مادامت هيئة الأرصاد قد أذاعت هذا فقد درست الأمر جيدا من جميع الزوايا .. إذن فقد انتهى الكابوس بالنسبة لنا .. إننا بعيدون عن مركز الزلزال إذن لحسن الحظ .. ورأيت بعيني الناس تلملم فرشها في حماس وتنظفها من الغبار .. رأيتهم يتجهون إلى بيوتهم في سعادة وقلق .. هذان لا يجتمعان إلا في حالتنا هذه .. أنا أساعد عائلتي في جمع فرشنا بدورنا .. اتجهت إلى المنزل .. وألقيت نظرة أخيرة على الساحة .. ساحة الرعب.

لحسن حظنا لم يؤذنا زلزال اسطنبول الرهيب .. لكنه ذكرنا أن الأمور لا تبقى على حالها دائما .. وأن ربنا إذا أمهل وأمهل .. فإنه لايهمل أبدا .. عشت أياما رهيبة في تلك الساحة الترابية المخيفة .. إنني أنظر الآن إليها بعد مرور سنوات وأتذكر ذلك اليوم .. إنها ليست ترابية الآن ..

إنها ثلجية .. فالثلوج تتساقط عليها الآن من السماء في مشهد جميل يستحق النظر إليه عبر نافذتك .. نظرت إلى العمود إياه فوجدته قد أعيد تثبيته .. شايدا ماتت هنا ذات يوم .. ورغما عني .. انحدرت دمعة ساخنة أدفأت وجهي المرتعش من البرد .. نعم .. ماتت شايدا الصغيرة هنا ذات يوم أمام عيني .. ولم تجد أحدا لينقذها.

يقول المغني بحزن...

أحدهم قتل شايدا الصغيرة

الفتاة ذات اللحن العذب

والتي كانت تغني دائما بالجوار

لقد كانت هناك تصرخ

تقرع بصوتها أبواب نهايتها

لكن أحدا لم ينجدها مبكرا

ويالمنظر الدماء على شعرها

الكل أتى ليري

الفتاة التي قد ماتت الآن

ويالها من نظرة تلك التي في عينيها

يالرقتها و هي راقدة هناك

ويالرشاقتها و أناقتها

اللهم ارتق بروحها بعنايتك

و يالمنظر الدماء التي على شعرها

لقد كان هناك تحاول

أن تغني ذلك اللحن

لشخص ما ربما شعر بيأسها

وقد صرخت بقوة

وما من أحد هناك

شايدا الصغيرة حاربت بصعوبة حتى تعيش

يالرقتها و هي راقدة هناك

ويالرشاقتها و أناقتها

اللهم ارتق بروحها بعنايتك

كم هي صغيرة و كم هي جميلة

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية مطعم اللحوم البشرية

يرويها : د.جوزيف ليستر - نيويورك (أمريكا)

" إنهم يأكلون البشر بالشوكة و السكين .. بتلك المناديل على صدورهم .. وتلك الابتسامة على ثغورهم "

لا أدري كيف يمكنني أن أبدأ قصة كهذه .. لطالما أردت أن أحكيها و أنا حي .. لكن ما باليد حيلة .. هل أبدأ الحكاية منذ طفولتي حتى مماتي و أسردها كقصة مملة؟ أم أقفز مباشرة إلى الجزء الهام من القصة؟ لا أدري .. سأبدأ في الكلام بغض النظر عن الترتيب .. سأقول ما يأتي على ذهني .. لعمري لقد كانت قصة مروعة فعلا .. سأستجمع أنفاسي و أتكلم .. اسمعوني جيدا من فضلكم.

سأحكي لكم في البداية عن رجل اسمه تشارلز لوسيانو أو كما يدعونه لوسيانو المحظوظ .. أحد العبقريات الإجرامية التي كافحته الشرطة طويلا حتى ظفرت به في سجون نيويورك .. كان هذا الرجل هو الأب الروحي للمافيا الأمريكية كلها .. وكلمة عبقرية إجرامية لو تجسدت شخصا لكونت هذا الرجل دون غيره من الرجال.

إن اسم لوسيانو المحظوظ جاء من حادثة مشهورة حدثت له في شبابه .. حيث أمسك به ثلاثة من الرجال و ألقوه داخل سيارة ليموزين تمهيدا لإطلاق النار عليه .. و أطلقوا النار عليه فعلا .. و كان مع أحدهم خنجر ضربه به في وجهه .. ورغم كل هذا نجا لوسيانو ولم يمت .. لكن ضربة الخنجر في وجهه لازالت باقية إلى يومنا هذا .. ومن هنا جاء اسم لوسيانو المحظوظ.

هذا الرجل هو صاحب فكرة إجرامية رهيبة تم تطبيقها فعليا منذ عام ١٩٥٠ .. فكرة زادت بها أرباح المافيا المهولة أضعافا مضاعفة .. عمل إجرامي تخصصت فيه المافيا الأمريكية دون غيرها .. وتخصص

فيه الزعيم لوسيانو دون غيره .. وبالمناسبة ، الناس لا يعلمون شيئا عن هذا العمل الإجرامي حتى يومنا هذا .. وربما يظلون هكذا حتى نهاية الدنيا.

إن المافيا كما يعلم الكل أو لا يعلم الكل تدخل في كل شيء بلا استثناء .. منظمة جبارة غاية في التنظيم .. تشارك في أعمال القمار في الكازينوهات .. تجارة المخدرات بكل أنواعها .. تجارة الأسلحة .. الدعارة .. و أخيرا وليس بآخر .. طبخ اللحوم البشرية.

نعم اللحوم البشرية .. وهي الفكرة الإجرامية الجديدة التي تبناها الزعيم تشارلز لوسيانو و نفذها و نجحت نجاحا هائلا .. نجاح لم يمكنه هو نفسه أن يتخيله .. ترى كيف يمكن شرح هذه الفكرة بالضبط؟ دعوني أشرحها كما فكرت فيها عقلية لوسيانو الإجرامية بالضبط.

إن العجل مثلا يحتوي على حوالي مائة إلى مائة و خمسين كيلوجرام من اللحم .. الجاموس و البقر أيضا كذلك .. الأغنام ربما خمسين كيلوجرام أو أقل .. لكن .. إن شراء هذه الحيوانات يكلف مالا .. تربيتها تكلف مالا .. علفها يكلف مالا .. مالا رهيبا .. بينما هناك كائن آخر لا يكلفك شيئا و ينتج من اللحم ما يزيد قليلا عن خمسين كيلوجرام .. ليس هذا فقط بل و له طعم شهي يختلف تماما عن باقي اللحوم .. نعم أنا أتحدث عن الإنسان.

لوسيانو المحظوظ كان يفكر بطريقة مختلفة نوعا ما .. إن معدل القتلى

الذين يقتلون شهريا ضحية أعمال المافيا الإجرامية في ولاية واحدة من ولايات أمريكا يتراوح بين مائة إلى مائتي شخص .. عادة المافيا لا تكون لديها مشكلة إخفاء جثث القتلى .. المافيا في الدول الأخرى تترك الجثث و ترحل و تتكلف أموالا زائدة في رشوة الشرطة و القضاة و المحققين .. أما لوسيانو فكان يأخذ الجثث .. ويحولها إلى أموال .. أقصد إلى لحوم.

من أنا؟ أنا طبيب أمريكي أدعى جوزيف لستر .. متخصص في أمراض الدم .. و أنا أعمل تحت إمرة المافيا .. تحت إمرة لوسيانو المحظوظ .. أين أعمل؟ يمكنك أن تقول أنني أعمل في مذبح .. مذبح متطور مخفى بمهارة شديدة في قلب نيويورك .. مذبح من المذابح التي جعلت أفكار الزعيم لوسيانو تتحول إلى حقيقة واقعة .. مذبح للحوم البشرية.

هذا المذبح موجود بداخل نادي كبير تديره المافيا .. وهو عبارة عن مبنى في منتصف النادي .. مبنى يبدو عاديا .. لكن لا يدخله إلا المصرح لهم .. عادة لا يعرف أحد من هم المصرح لهم .. أو ماهو هذا المبنى بالضبط .. هذا المبنى هو مقر عملي.

كل صباح تأتي إليَّ مجموعة من الجثث الموضوعة في أكياس سوداء .. ويكون عليَّ أنا و مجموعة من الأطباء و مختصي التحاليل أن نفحص الجثث جيدا ونأخذ كل التحاليل اللازمة للتأكد أن الجثة يمكنها الدخول إلى المذبح .. فلو كان الميت مريضا بمرض ما تعتبر الجثة

مرفوضة .. ولو كان سليما يتم نقل جثته إلى الخطوة الثانية و الأكثر أهمية في هذه العملية كلها وهي طبعا .. المسلخة.

في المسلخة طبعا يتم سلخ الجلد بطريقة احترافية وباستخدام أحدث الطرق .. ثم إلى المشرحة حيث يتم تشريح الجثث و نفخها و رمي الأحشاء تماما مثل أي حيوان وبعدها إلى مكائن تقطيع اللحم و ترتيبه ثم في النهاية إلى الثلاجات الكبيرة .. كل هذه الخطوات لا علاقة لي بها بالطبع .. أنا موجود فقط في الخطوة الأولى .. أنا أسمع في بالك سؤالين .. كيف تتم الاستفادة من اللحوم المنتجة؟ و لماذا لم يسمع أحد عن هذا النشاط الإجرامي المروع بعد؟ سأؤجل إجابة السؤال الأول قليلا وسأجيب عن الثاني.

أولا يجب أن أخبرك أن كل العاملين في هذا المذبح أو أي مذبح مماثل في أي ولاية أمريكية يأخذ راتبا خرافيا.. وبالتالي لا يفكر أحد في الخيانة .. ثانيا العاملين يتم اختيارهم بحرص شديد و دراسة متأنية جدا .. ويكونون مراقبين ومهددين هم وعائلاتهم لو فكروا مجرد تفكير في إفشاء السر.

إن اللحوم البشرية هي بلا منازع أطيب و أطعم أنواع اللحوم كلها .. حتى أنها أكثر حلاوة من اللحوم البحرية كالأسماك و غيرها .. لكن كيف كانت فكرة لوسيانو للاستفادة من تلك اللحوم؟ في بداية المشروع كانت كل اللحوم تذهب للمطاعم الراقية التي تديرها المافيا في أمريكا .. ثم تطور الأمر ليصل إلى الفنادق الراقية .. نعم إلى الفنادق .. بالطبع لا

يعلم أي من هذه الجهات أنه يحصل على لحوم بشرية .. هم يشترونها من أشهر أسماء مزارع العجول و الأغنام في أمريكا .. وهذه وكما لا يعلم البعض .. تسيطر عليها المافيا أيضا.

أرباب هذه المزارع أنفسهم لا يشكون في تلك الأكياس المحتوية على لحوم حمراء و مكتوب عليها عبارة خاص .. باختصار أقول أن الكل يتم خداعه واستغفاله .. لأنه ليس هناك أحد يمكنه أن يشك لحظة أن لحوم البشر يمكن أن يفعل بها هذا .. لم يكتف لوسيانو بهذا الحد .. لقد كان ينظر لأهداف أبعد من هذا بكثير .. و لقد تحقق له ما أراد كما أراد بل و زيادة.

كان لوسيانو يود تصدير اللحوم إلى أربعة أسماء تحديدا .. كل اسم منهم عبارة عن سلسلة مطاعم أمريكية Fast Food شهيرة تفرعت ودخلت كل مدن العالم بلا استثناء .. كان هذا سيعني أرباحا لا مثيل لها و لم يحلم بها أي شخص حي .. لكن كان هذا سيعني أيضا لو نجح الأمر .. أن معدل الجريمة و نسبة القتلى من أعمال المافيا يجب أن تتضاعف .. وهذا لم يكن مشكلة بالنسبة لزعيم المافيا الأمريكية .. فقتل الناس لا يوجد ما هو أسهل منه.

بعد فترة من الزمن حقق لوسيانو حلمه .. و دخلت لحومه إلى الأربعة إلى الأسماء الكبيرة .. أكبر أربعة سلاسل مطاعم أمريكية عالمية .. ليس هذا فقط .. بل إن هذه الأسماء الأربعة أصبحت مع مرور الزمن لا تستورد إلا من مزارع لوسيانو وحده .. ذلك لأنها لاحظت أن تلك

اللحوم مختلفة جدا .. لذيذة جدا .. وبسبب هذه اللحوم فإن الزبائن تزداد و شهرة هذه الأسماء تزداد حتى أصبحت اليوم أشهر سلاسل مطاعم في العالم و المدينة التي تخلو منها في أي مكان في العالم تصبح مدينة بدائية و مملة جدا ... نعم فكل زبون يأكل لحوم هذه المحلات يشعر باختلاف واضح جدا بينها و بين أي لحوم أخرى مصنوعة بنفس الطريقة ... إن الخلطة السرية التي وراء هذا كله هي لوسيانو .. تشارلز لوسيانو.

أنا لا أمزح هنا يا سادة .. ليس من أحد منا إلا و يتردد على هذه الأسماء مرة في الشهر على أقل تقدير .. نعم أقولها و أعني كل حرف فيها .. نحن كلنا منهم .. كلنا في الحقيقة آكلي لحوم بشر بدون أن نشعر أو يشعر أي شخص .. و أنا هنا لأوقظكم من هذه المهزلة قبل فوات الأوان.

لقد عملت في هذه المهنة ما يزيد عن عشر سنوات كاملة .. حتى أتى عليَّ اليوم الذي لم أستطع أن أتحمل .. فنسبة الجريمة زادت كثيرا بطريقة لا يمكن السكوت عنها .. لكن كما نعرف فالمافيا دائما تسكت الأفواه .. ترشي كل من يمكن أن يسهل لها عملها أو يتظاهر بأنه لا يرى .. و الرشوة تكون بالمال أو بأي طريقة أخرى .. لقد جعل لوسيانو من جريمته المروعة جريمة كاملة .. كاملة إلى درجة أن شخصا لم يفهم حتى الآن .. دقته الشديدة في كل خطوة حالت تماما دون أن يفهم أي شخص أي شيء .. لم أستطع التحمل أكثر .. كان لابد أن أفشي السر الذي أثقل كاهلي كل هذه السنين.

في ذات يوم بعد أن أنهيت عملي في المذبح إياه توجهت بسيارتي بسرعة جنونية إلى مبنى الشرطة الفدرالية الأمريكية FBI في نيويورك .. ودخلته و أنا في حالة يرثى لها وطلبت مقابة المدير لأن لدي أمر هام لا يمكن تأجيله .. أمر يتحدث عن البشرية المخدوعة .. عن مهزلة يجب إيقافها بأي شكل .. ظللت أنتظر قليلا حتى دخلت عليه .. مدير الشرطة الفدرالية بنفسه.

كان الرجل مبهورا تماما بما أحكيه .. وظل مبهورا هكذا حتى انتهيت من قصتي .. نزل من جبينه عرق أظنه عرق المفاجأة من هول ما سمع .. قلت له أنني مراقب أنا وكل العاملين في تلك المنشأة و كل المنشآت المماثلة التي يديرها لوسيانو في أمريكا .. ولن أخرج من هذا المكان حتى يتم القبض عليه .. لأنني لو خرجت من هنا قبل ذلك فسيكون غالبا إلى القبر.

كان الرجل متفهما جدا و استمع إلى كل كلمة قلتها بحرص شديد .. ثم إنه غاب عني ما يقرب من عشرين دقيقة ثم عاد إلىً و قال أنني يجب أن أخرج معه إلى المذبح بنفسي .. و سأكون تحت حراسة الشرطة الفيدرالية .. ثم إنه أجرى اتصالا أمر فيه أن تتواجد قوة من الشرطة الفدرالية عند المذبح الذي أعمل فيه .. أكملت طريقي معه حتى وصلنا إلى المذبح .. دخلنا معا رغما عن الكل .. فهذا مدير الشرطة الفدرالية شخصيا .. ثم إنه دخل معي إلى مكتبي في داخل المبنى.

انتظرنا .. قال إن لديه خطة أمر رجاله بتنفيذها حتى يقبض على

لوسيانو متلبسا .. مرت أكثر من ساعة .. سمعت صوت ضجة في الخارج .. فجأة انفتح باب المكتب و دخلت عليً آخر مجموعة من البشر أتوقع رؤيتهم في هذه اللحظة.

عائلتي .. زوجتي سامنثا .. ابنتي الصغيرة مارجريت .. والدتي .. عماتي .. كل من يعيش من عائلتي في نيويورك .. ليس هذا فقط .. بل رأيت أصدقائي أيضا .. لم أفهم شيئا في الوهلة الأولى .. لكنني فهمت كل شيء في الوهلة الثانية.

لقد كانوا مقيدين ومكممين .. نظرت إلى مدير الشرطة باستغراب .. كان يبتسم ساخرا .. وسرعان ما تحولت ابتسامته إلى شراسة مفاجئة فأمسكني من ذراعني و جذبني معه إلى خارج الغرفة .. وظل يمشي بي حتى أصبحنا في منتصف قاعة الاستقبال في المبنى .. ثم ألقاني أرضا بقسوة .. كان هناك تجمع من العاملين المندهشين .. رأيت رجال المافيا يدفعون عائلتي و أصدقائي المقيدين المكممين إلى القاعة بجانبي.

لا يلمني أحدكم .. لأنه ليس من المتوقع مطلقا أن يكون رجل الأمن الأول في نيويورك تابعا للمافيا .. إن المافيا لا تمزح في هذا الأمر بالذات .. لا تمزح مطلقا .. لن يكتفوا بقتلي .. بل سيقتلون كل من أعرفه و يحتمل أن أكون قد أخبرته أو نوهت له عن الأمر .. يريدون إخفائي من الوجود تماما .. بكيت .. بكيت كما لم أبك في حياتي .. أنا لم أخبر أحدا من هؤلاء عن شيء .. لكن من يسمعك .. كان لوسيانو مجرما .. مجرما حقيقيا.

لم أصدق عيناي .. فجأة أصابتني طلقة من مسدس كاتم للصوت في صدري فجثوت على الأرض في ألم .. كانت عيناي تبكي دما .. تمنيت ألا أرى ما أراه .. كنت أرى كل عائلتي يقتلون واحدا واحدا .. يا إلهي .. اتركوا ابنتي الصغيرة ذات السنوات العشر فهي لا تفقه من الأمر شيئا .. لكنك تحدث المافيا هنا .. و أنت لن تدرك معنى كلمة مافيا حتى تتعامل معهم .. متّ أقسى موتة يمكن أن يموتها إنسان .. و أظنني أستحق هذا إلى حد ما .. فمجرد قبولي لهذه الوظيفة الإجرامية منذ البداية كان خطأ مقززا أستحق عليه الموت ألف مرة.

في اليوم التالي اجتمع لوسيانو بكل زعماء المافيا في أمريكا .. كان اجتماعا كبيرا من اجتماعاته الشهرية .. أولئك المجرمين الذين يرتدون أفخر أنواع البزات الإيطالية و يدخنون التوسكانيللو ببرود .. أولئك المجرمين الذين جلسوا على مائدة كبيرة فيها كل ما يمكنك أن تتخيله من طعام .. وطبعا مادام لوسيانو هو المضيف فإن اللحوم ستكون من نوع خاص .. نوع بشري.

لقد كانوا يلتهمون جوزيف ليستر .. وزوجة جوزيف ليستر .. و ابنة جوزيف ليستر .. و عائلة و أصدقاء جوزيف ليستر .. ذلك الطبيب الغبي الذي ضحى بالمعيشة الراقية التي كان يعيشها و التي لا يحلم بها أكبر طبيب في أمريكا .. ضحى بكل هذا لأجل أن ضميره قد استيقظ فجأة.

كانوا يلتهمون جوزيف ليستر و يضحكون .. و ترتفع أصوات

الشوكات و السكاكين على مائدتهم .. كم تمنيت لو خرج صوتي للعالم .. ليعلم الناس أنه لست أنا فقط الذي أؤكل على هذه المائدة الفاخرة .. بل إن هناك غيري الكثير جدا يأكل غيري على موائد أخرى .. لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

إن لوسيانو لا يزال حيا حتى هذه اللحظة .. لكن في سجن نيويورك .. بالطبع كانت لديه ألف تهمة استحق القبض عليه بها .. لكن أحدا لم يعرف بأمر مذابحه الخاصة أبدا .. و يوم إعدامي أنا وعائلتي أمام كل عاملي المذبح كان درسا .. تم تدريسه لكل العاملين في هذا المذبح و كل المذابح البشرية الأخرى.

إن مجلة التايمز الأمريكية وضعت اسم تشارلز لوسيانو ضمن أكثر عشرين شخصية إجرامية غيرت مجرى التاريخ .. فله أعمال إجرامية أخرى كثيرة لا علاقة لها باللحوم البشرية .. سترون لوسيانوا في الكثير من أفلام المافيا .. وستقرأون عنه في الإنترنت .. لكن أحدا لن يخبركم بسره الخاص .. سر اللحوم البشرية.

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية الفتى الأشقر (قصة حقيقية)

يرويها : رعد - المدينة (السعودية)

" عندما يكره شخص شخصا آخر ، فإن العينين التي يستخدمهما للنظر إليه تبدو مخيفة "

- السادة ركاب الطائرة الكرام نرجوا منكم ربط أحزمة المقاعد والامتناع عن التدخين استعدادا للإقلاع .. سنصل إلى المدينة المنورة في تمام الساعة السابعة بإذن الله .. التوقيت المحلي في مصر هو ..

قلت لأمي في ضجر :
- ألن نعود قريبا؟
- لا

قلت محاولا الهروب من نظرات المضيفة الإندونوسية لحزامي الذي لم أربطه بعد :
- لكننا سنعود من حين لآخر في الإجازات .. أليس كذلك؟
- نعم

تبا .. لا أحب هذا الأسلوب المقتضب الذي يشعرك أنك تتكلم مع موظف شباك التذاكر
- بليس هيزام هيزام

كانت هذه هي المضيفة تحاول تذكيري بأنني نسيت ربط الحزام .. إنهم يشعروننا أننا سنركب قطار الرعب في الملاهي .. ربطت الحزام

مضطرا وسرحت قليلا بالنظر إلى النافذة .. فلأملأ عيني من مصر الآن .. لأنه قد يمضي وقت طويل قبل زيارتها ثانية .. ذكريات لؤي و شادي .. وتلك الساحرة نادين .. وذلك المعتوه ميكو .. ترى مالذي سيحصل له بعد أن أتركه؟ لقد ولت أيام مصر .. وأنا الآن في الطريق إلى حياتي المملة المعتادة في المدينة المنورة.

مر أسبوع كامل على ذهابنا للمدينة .. مهلا .. نسيت التعريف بنفسي ... أدعى رعد .. كنت أعيش في مجمع سكني يدعى " الحماد " .. أربعة مباني بنية عالية يتوسطها فناء رخامي واسع .. وفي كل مبنى ما يقرب من ستة أدوار .. وسكن الحماد مشهور بكثرة الأطفال فيه إلى حد يشعرك أنك في حضانة وأن جرس نهاية الفسحة سوف يدق في أية لحظة .. أولاد وبنات صغار في الفناء يجرون هنا وهناك .. لماذا يجرون؟ لن تعرف أبدا .. ولا هم يعرفون .. كنت جالسا في هذا الفناء أتحدث مع شخص ما لا يهمكم معرفة من هو .. ومن حين لآخر أنظر لهذه المهزلة في فتور .. وهنا سمعت شيئا غريبا جدا.

- زومبي .. زومبي .. زومبي .. زومبي .. زومبي

كان هذا صوت هتاف الأطفال الذين رأيتهم قد تجمعوا حول شخص ما وهم يصفقون وينظرون له في شماتة .. ترى من هو ذلك التعس؟ أراه من ظهره .. فتى عادي .. لكنه هزيل جدا .. وشعره أصفر خفيف جدا يكاد يكون غير ظاهر .. الأطفال سعداء جدا ويصفقون كأنهم وجدوا

ضفدعا برأسين.

قلت لمن كان بجانبي:

- من هذا الفتى؟

قال ضاحكا:

- هذا هو الزومبي

وأخذ يضحك كأنه سمع دعابة طريفة لأول مرة .. حاولت أن أشرئب بعنقي لأرى الفتى أفضل لكنني لم أستطع .. كان الفتى يحاول الدخول إلى مبنى من المباني - واضح أنه ساكن جديد هنا إذن - لكن الأطفال الأشرار كانوا له بالمرصاد يحاولون إخباره بأنه زومبي .. لم يصرخ فيهم ولم ينهرهم .. فقط كان ينظر إلى الأرض في ذل ويحاول التملص من اليمين تارة ومن اليسار تارة .. ثم قرر العودة إلى الخلف .. إلى ناحيتي .. استدار الفتى .. وهنا فهمت كل شيء.
اتسعت عيناي في خوف .. فما رأيته غريب جدا جدا .. دعوني أحاول أن أصف لكم الفتى بالكلمات رغم ثقتي التامة بأن هذا مستحيل .. هزيل جدا .. أحمر البشرة والجسم يشوبه البياض .. وليس أبيضا يشوبه الحمرة .. هناك شبح شعر أصفر خفيف جدا على رأسه .. كل هذا جميل .. لكن وجهه كان هو المشكلة.

هل منكم من لعب الجزء الأول من Resident Evil؟ هل تذكرون أول زومبي في اللعبة؟ ذلك الذي نراه يأكل جثة ما ثم يستدير لنا برأسه فنرى وجهه المقيت .. كان وجه الفتى مشابها تماما لوجه ذلك الزومبي .. فقط ضع للزومبي شعرا أصفر خفيفا جدا .. و حول لونه إلى الأحمر المبيض .. ثم صغر جسده ليناسب جسد صبي في الخامسة عشر من عمره .. عندئذ ستحصل على الفتى تماما .. تماما بدون أي اختلاف يذكر.

ماذا كنا نقول عندما نرى شخصا قد ابتلاه الله بالتشوه الخلقي لحكمة يعلمها وحده؟ نعم تذكرت .. الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرا من الناس .. أو اللهم عافه ولا تبتلينا .. رددت هذه الكلمات بسرعة وأنا أنظر لهذا الفتى لأول مرة .. كان الأطفال يلاحقونه في غل وكأنه هو نفسه جعفر الشرير.

المشكلة أن الطفل يعتبر أن الإنسان الجميل هو دائما شخص طيب تابع لفريق الخير .. أما الشخص البشع الخلقة فهو دائما شرير .. ولا يمكنك أن تغير هذا الرأي أبدا .. وهذا طبعا بتأثير أفلام الأنمي التي يدمنون مشاهدتها .. دائما علاء الدين وهرقل و ميكي ماوس و زورو و سنووايت .. كل هؤلاء شديدي الجمال .. بينما جعفر ودنقل و الساحرة الشريرة في فيلم سنووايت .. كلهم بشعين جدا لاتطيق النظر في وجوههم .. وهاهو الفتى المسكين يحاول التملص .. لكنه لا يستطيع .. فجأة يقفز عليه واحد من الأطفال ويمسك بملابسه .. ثم يتبعه واحد آخر ويشده من فانلته .. وهنا انفجر الفتى .. ليتك تشاهد وجهه الغاضب حينذاك .. لقد تراجعت أنا إلى الوراء متفاديا عدوا وهميا من الخوف ..

طار الطفل الذي كان يمسك بملابسه ووقع على الأرض .. ثم اتجه إليه الفتى وضربه على وجهه .. وهنا كان يجب أن أتدخل .. كان يجب أواجهه .. فليرحمني الله.

قمت غاضبا ـ أو أمثل أنني غاضب ـ لأواجه هذا الفتى وأعلمه درسا في التعامل مع الصغار .. قلت له بصوت عال وأنا آت ناحيته:

- ألا تفهم يا هذا؟ هؤلاء أطفال لا يحاسبون على أفعالهم.

نظر لي الفتى نظرة خاوية .. عيناه غائرتين تماما حتى أنك تشك أنهما هناك فعلا .. لم أكن أحب أن أؤذيه .. كنت أشعر به وبألمه الداخلي تجاه هذا الذي ابتلي به دونا عن جميع الناس .. كنت أعرف أن الأطفال أشرار .. لذا اكتفيت بهذه الكلمات .. التقت عينانا للمرة الأخيرة .. فنظر الفتى للأرض واستدار عائدا إلى بيته .. ولم ينس أن ينحني ليلتقط ذلك الكيس الذي كان يمسك به عندما جاء .. والذي تبعثرت محتوياته على الأرض .. أخذ يلملم بقايا كرامته قبل أن يلملم محتويات الكيس .. ثم مشى وغاب عن عيوننا .. هذا الفتى يتألم .. يتألم بعنف.

الآن أنا أمشي مع صديقي مأمون في الفسحة في مدرستي الثانوية .. كنا نتكلم في أمر ما لا أدري ما هو .. مأمون هو مصري مثلي .. لكن مأمون كان من الطراز الذي تشعر أنه صديق لكل الناس .. لا نمر بشلة ما إلا ووقف يتحدث معهم عن أي شيء .. ومع الأساتذة كذلك .. كان اجتماعيا بعنف .. كنت أنا شاردا أنظر إلى بقالة المدرسة والتي يسمونها " المقصف " كنت أرى أحد الطلاب قد شمر ثوبه وربطه في

خصره .. ثم قفز فوق مجموعة من الطلاب المتلاحمين على هذا المقصف .. كل يريد أن يشتري شيئا ما قبل أن يرن الجرس ولا يستفيد من الفسحة إلا الشعر الشبيه بشعر ميدوسا والوجه المكفهر والثوب الذي امتلأ من بقع الشاي الذي يسقط دائما من خمسة يصطدمون بك على الأقل خلال هذه الرحلة الشاقة .. كنت سارحا في كل هذا حين سمعت مأمون يهزني قائلا:

- رعد .. فيم سرحت؟ دعني أعرفك على مصطفى .. من الصف الثالث المتوسط

نظرت لمن سأعرف بعد قليل أنه يدعى مصطفى .. وهنا رجعت إلى الوراء .. وسقط مني العصير على الأرض .. لقد كان هو نفسه .. لقد كان هو الفتى الأشقر المخيف نفسه.

كان الفتى يبتسم .. وانحنى ليلتقط علبة العصير من على الأرض .. وقدمها لي .. بالتأكيد يذكرني .. أخذت منه العلبة وسلمت عليه .. شعرت بيده الهزيلة الباردة .. شعرت أنني لو ضغطت أكثر ستتحطم يده .. لم أعرف ماذا أقول .. هل أعتذر عن هذا الذي حصل لي عندما رأيته؟ أم أن هذا سيزيد الأمر سوءا؟ لكن يبدو أن الفتى كان معتادا على هذا فلم يعط للموضوع أهمية ما .. وهنا رن الجرس .. جرس الخلاص .. الخلاص من الفتى .. والذي سنسميه منذ الآن باسمه الكريم .. مصطفى.

عرفت بعدها أن الفتى مصري هو الآخر .. لم أكن أستطيع النظر في

وجهه أبدا .. فالله تعالى قد ابتلاه بوجه مخيف جدا .. وأنا لا أحب أن أظهر هذا أمامه .. كان صوته غريبا جدا أيضا .. صوت غريب ممزوج بالألم الخفي الذي تشعر به في كل كلمة يقولها.

لكن مصطفى كان عندما يبتسم .. أستطيع أن أقسم أن المكان كله يبتسم معه .. كان التفسير الطبي لحالته - كما عرفت بعدها - أنه نتاج خطأ وراثي ما بسبب زواج الأقارب أو شيء ما من هذا القبيل .. كان مصطفى يمضي كل الوقت وحيدا في المدرسة وفي سكن الحماد .. لم أره مرة يتكلم مع أحدهم في أي شيء .. دائما أراه يمشي وحيدا في الفسحة المدرسية ينظر إلى الأرض ويتناول إفطاره المكون من شطيرة ما .. وعلبة مشروب غازي .. دائما عندما تنظر حوله تجد اثنين يهمسان لبعضهما ويشيران إليه ويضحكان .. هذا المشهد لو لم تره مرة لظننت أن هناك شيء ما خطأ .. لا يخلوا الأمر في بعض الأحيان من واحد يرمي كلمة من هنا أو من هنا عن " وجه السحلية " أو " ريزدنت إيفل" متعمدا أن يسمعها مصطفى .. لكنك دائما ترى مصطفى يعطيهم ظهره ويمضي كأن لم يسمع شيئا.

إن مصطفى كان ذكيا جدا ومتفوقا في المدرسة أيضا وبارعا في الكمبيوتر والانترنت .. وكان هذا يزيد من ألمه بالتأكيد .. فلو كان معتوها منذ البداية لما شعر بأي ألم .. لكنه ذكي و نبيه جدا .. لذلك كان الابتلاء قاسيا عليه جدا .. ظلت الأمور على ما هي عليه حتى ذلك اليوم.
في يوم من الأيام كنت أمشي متجها إلى سكن الحماد .. وقبل سكن

الحماد كانت هناك منطقة مظلمة في الطريق الذي أمشي فيه .. كان لابد أن أجتازها قبل الوصول إلى الحماد .. ليست مظلمة جدا .. لكنها مظلمة .. هنا رأيت ثلاثة شباب يلتفون حول صبي ويتبادلون المزاح عليه .. واحد يضربه على مؤخرة رأسه ثم يبتعد ويضحك .. آخر يأتي من وراءه ويرفسه في مؤخرته ويضحك الجميع .. كانوا ثلاثة فتيان أصغرهم في السابعة عشرة من عمره .. حاولت الإسراع لأتبين من هذا .. وفجأة رأيته .. رأيت نحوله المميز في الظلام .. كان هو بنفسه .. كان مصطفى.

هنا شعرت بالغضب الشديد .. فاتجهت مسرعا لهم عازما على التدخل ولو بالدم لإنقاذ هذا الفتى الذي أحببته من كل قلبي .. لكن غضبي هذا قد تحول في الدقيقة التالية إلى الدهشة .. الدهشة التي جعلتني أتسمر في مكاني غير مصدق لما رأيت .. ففي طريقي إليهم سمعت أحدهم يقول شيئا بذيئا ما عن والدة مصطفى الكريمة .. والآخر يرد عليه بعبارات أكثر بذاءة .. وهنا انفجر مصطفى.

كنت قد اقتربت منه ورأيته .. كان غاضبا .. وبعد ثلاث دقائق بالضبط كان الفتيان الثلاثة يجرون هاربين من هول ما قابلوه .. لقد انهال مصطفى عليهم ضربا .. ليس ضربا همجيا من النوع الذي تغلق فيه عيناك وتضرب كل شيء .. بل هو ضرب كالذي تراه في أفلام التاكواندو والكونغ فو .. كان مصطفى رشيقا جدا .. وضربهم في كل مكان بقوة وغضب شديد .. وأستطيع أن أقول أنني رأيت كافة حركات

الدفاع عن النفس التي نراها غالبا في الأفلام .. فر الثلاثة هاربين .. وبقي مصطفى وحيدا .. اقتربت منه .. نظر إلي .. لم يكن يدري أنني موجود .. ضبطته .. ضبطته وهو يبكي.

عندئذ ضممته إلى صدري و هو يبكي في صمت .. ياله من شعور لن أسطيع وصفه ماحييت .. كنت أشعر به تماما .. أشعر به و كأنني أنا هو .. بعض الأحيان كنت أدمع عندما أراه يمشي وحيدا في مكان ما .. ثم أمسكت بالكيس الذي معه .. وأخذته إلى سكن الحماد بدون كلمة مني ولا منه.

عرفت بعدها أن مصطفى قد قضى فترة طفولته في مصر قبل أن يأتي إلى هنا .. وتعلم هناك رياضة الكونغ فو وبرع فيها .. بل ووصل إلى مستوى متقدم جدا فيها أيضا .. إن هذا الفتى مليء بالأسرار حقا .. أصبح مصطفى صديقي .. أو أصبحت أنا صديقه لافرق هناك .. كنت الوحيد في سكن الحماد الذي يجلس معه ويكلمه .. وكذلك في المدرسة .. اقتربت من شخصيته أكثر .. كانت شخصية مليئة بالحيوية .. لكنه مليء بالحيوية بداخل نفسه فقط .. لا يسمح للآخرين أن يروا سوى الاكتئاب الخارجي الذي يغلف شخصيته .. كان لديه حس دعابة جميل .. وخبرة مروعة في الكمبيوتر .. أصبحنا نجلس كثيرا مع بعضنا .. كنت أحب رؤيته يضحك .. لذا كنت أكثر من سخريتي المريرة من كل شيء وهو معي .. كان دائما يتوقع الأسوأ في الحياة في كل شيء .. مضت الحياة عادية .. حتى وصلنا لليلة لن أنساها أبدا ماحييت.

كان مصطفى يحب الأنمي كثيرا .. ويحب رسم الأنمي جدا .. وقد كان يعلم نفسه بنفسه حتى وصل لدرجة متقدمة في الرسم .. في ذلك اليوم أراد أن يريني رسمة رسمها قد بذل فيها - كما قال - كل جهده .. وتلافى فيها جميع الأخطاء التي في رسماته السابقة .. وافقت على الفور .. وعندما رأيت رسمته دهشت .. كانت جميلة جدا بلا أي مبالغة سخيفة في التعبير .. كانت لفتاة .. وجهها ورقبتها .. عينان زرقاوان وشعر أسود طويل منسدل .. وياقة فستان ناصع البياض .. كانت وكأن محترفا هو الذي رسمها .. أخذت أتأملها باحثا عن تلك المشاعر الذي يصر الرسامون أنها دائما تكون مختبئة في الرسومات .. فذلك الخط المعوج يعبر عن الاضطهاد النفسي .. واللون الأحمر مع الأصفر هنا يعطي إنطباعا أن الشخص فكر في الانتحار وهو يرسم هذه المنطقة .. إلى آخر هذا الهراء .. حاولت أن أري شيئا من هذا في رسمته لكنني فشلت .. كانت رسمة دقيقة حقا .. استأذنت منه أن آخذها منه لأنقلها في البيت .. فأنا أتعلم رسم الأنمي أنا الآخر .. وافق .. ووعدته أن أعيدها له في مساء اليوم التالي مباشرة.

أخذت الصورة وأخذت أدرسها وأتعلم منها طريقة رسم العينين والشعر .. وغيرهما .. رسمت واحدة شبيهة برسمته .. لم أكن أملك نفس موهبته .. لكني كنت أطمح أن أتعلمها منه في يوم من الأيام .. وضعت الرسمتين في حقيبة المدرسة الخاصة بي على أن أريه إياهما في المدرسة غدا .. وأن أستمع إلى رأيه فيما رسمت .. في اليوم التالي بحثت عن مصطفى في كل مكان في المدرسة ولم أجده .. ذهبت لفصله فقال لي أحد الحمقى وهو يمضغ العلك أنه لم يأت اليوم .. ربما مرض

.. سأرى ذلك عندما أعود لسكن الحماد.

هاهو سكن الحماد يقترب مني وأنا أسرع في الخطى قليلا محاولا الهروب من أشعة الشمس الحارقة .. لكن عبثا .. روضة الأطفال في أوج صخبها اليوم .. اصطدم بي أحدهم وأنا أمشي .. فأوقع الحقيبة أرضا فانفتحت وتبعثرت الكتب التي فيها على الأرض .. في اللحظة التالية هرب الشقي من أمامي كأنه لم يكن موجودا أبدا .. أخذت أجمع الكتب من هنا وهناك كالأبله .. رأيت أحد أصدقائي في الحماد قد أتى لمساعدتي .. قال لي :

- متى سيكون العزاء بالضبط يا رعد؟ أنا أود أن أحضر.

نظرت له في غباء وقلت :
- لا أدري
قال لي بإصرار البراغيث :
- كيف لا تعرف أيها الأحمق؟ .. من سيعرف إذن؟

إن الشمس ومجهود اليوم المضني يكفيني وليس بوسعي احتمال هذا الأبله .. كنت قد انتهيت من غلق الحقيبة لذا قلت له سريعا متهيأ للانصراف :
- اسمع .. أنا لا أعرف مالذي تتحدث عنه ولا أريد أن أعرف ..

اتركني في حالي واذهب إلى الجحيم

قال لي :
-هل ستحضر أنت إذن؟

لم يكن ينوي أن يستسلم .. تنهدت بعمق ودعوت عليه عدة دعوات بالويل والثبور ثم قلت :
- حسنا .. عن أي عزاء تتحدث يا بلال؟ .. عن أي عزاء لعين تتحدث؟

قال لي باستغراب :
- ظننتك علمت .. ألم تعلم؟ إن الزومبي قد توفى ليلة أمس .. مصطفى ذلك الفتى الأشقر .. لقد مات
وهنا وقعت مني الحقيبة وانفرطت الكتب مرة أخرى

نظر لي وتأفف قائلا:

- أنت معتوه يا رعد .. معتوه كبير .. فلتجمعها بنفسك هذه المرة .. وداعا

وأخذ " يبرطم " بكلام عن ذلك الصديق الذي لا يعرف شيئا عن صديقه العزيز الذي قد مات وعن أن الناس لم يعد فيها خير .. لم أشعر بشيء في الوهلة الأولى .. أخذت أجمع الكتب شاردا متوقعا من نفسي

أن أنفجر بالبكاء في أي لحظة كالأطفال .. لكن التفاتة قد هربت مني على رسمته التي كانت لاتزال في حقيبتي .. وهنا دمعت .. واستمريت في جمع الكتب وأنا أدمع .. ثم تحولت الدمعات إلى دموع .. والدموع إلى أنهار .. بكيته .. بكيت صديقي الذي استوعبت أخيرا أنه مات الآن فقط .. بكيت مصطفى.

كيف مات؟ ولماذا مات؟ وأين مات؟ ثم هل مات فعلا؟ كلها أسئلة سألتها وعرفت إجابتها لاحقا .. وجد مصطفى ميتا أمس أمام شاشة الكمبيوتر .. كان يلعب لعبة ما .. ثم وضع رأسه على ساعده الأيمن على المائدة .. ومات .. رحل إلى دنيا أخرى .. رحل من عالم الشياطين الذين كانوا ينغصون حياته إلى عالم أفضل .. عالم ينصفه فيه ربه .. ويعطيه حقه في السعادة .. بعد أن سلبها منه منذ بداية حياته القصيرة إلى نهايتها.

حضرت عزاء مصطفى في بيته .. دخلت غرفته .. رأيت صورته الوحيدة المعلقة .. كان ينظر ذات النظرة المميزة .. تلك النظرة التي تشعر فيها بالشرود والألم والأمل والخوف من المستقبل .. تشعر فيها بكل هذا دفعة واحدة .. خيل لي أن صورته تلك تبتسم .. تبتسم في سعادة لي أنا بالذات .. إنني أفخر بأنني الوحيد الذي احتوى مصطفى في حياته .. الوحيد الذي لم يسخر منه ولا من شكله .. الوحيد الذي صادقه حق الصداقة .. إنه الآن سعيد وأنا أعلم هذا.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يعيش هذا الفتى بيننا في هذه الدنيا بضع سنين ثم يغادرنا في صمت .. نحن الذين عذبناه في حياته هذه أيما عذاب .. وحاولنا إقناعه أنه مجرد زومبي .. بالمسمياتنا القاسية ..

ولدهشتي رأيت الأطفال الأشقياء يبكون مصطفى بحرقة وبراءة الأطفال .. صورته التي رسمها لازالت معي حتى الآن لا تفارقني .. لكم أتمنى أن أرى وجهك الذي أعتبره أجمل وجه رأيته في حياتي ولو لمرة واحدة فقط يا مصطفى .. مرة واحدة ثم عد إلى حيث أنت .. وابتسامتك الرائعة التي كانت تشرق كل شيء .. لقد رحل .. مات .. ذهب ولن أراه مرة أخرى.

تقول الأغنية :

مثل مذنب

يتألق عبر سماء الليل

مات مبكرا جدا

مثل قوس مطر

يتلاشى في غمضة عين

مات مبكرا جدا

مشرقا متلألئا

وساطعا قد أضاء هنا في يوم ما

مات ذات ليلة ما

مثل زوال ضوء الشمس

في ظهر ملبد بالغيوم

مات مبكرا جدا

مثل قلعة

بنيت على شاطيء رملي

مات مبكرا جدا

مثل زهرة رائعة الجمال

تكون بعيدة عن المنال

مات مبكرا جدا

ولد ليعلمنا ، ليلهمنا ، ليبهجنا هنا في يوم ما

مات ذات ليلة ما

مثل غروب الشمس

الذي يموت مع بزوغ القمر

مات مبكرا جدا

مات مبكرا جدا

حكاية المانيكان

ترويها : سومارا - مانيلا (الفلبين)

" أنتم صنعتم لنا مكانا مثاليا نعيش فيه .. ونحن صنعنا لكم مكانا حارقا تموتون فيه "

أشعر بملل رهيب .. الأيام رتيبة بشكل يصيبك بالنعاس .. أنظر من وراء زجاج " فاترينة " هذا المحل إلى الشارع في فتور .. يالكمية البشر .. متى أتى كل هؤلاء إلى العالم؟ ومتى سيرحلون؟ إن لكل منهم حكايته .. أشعر أن هناك الملايين من الناس يطوفون بالخارج في هذا الحي المزدحم .. يبدون وكأنهم لا يذهبون إلى أي مكان .. هم فقط يطوفون بالخارج .. هذا الحي في مانيلا هو حي باكو .. ونسميه هنا الحي الأصفر .. وهذا لأن أكثر قاطنيه من اليابانيين الذين وفدوا إلى مانيلا منذ قديم الزمان أيام وجود الإسبان فيها .. الإسبان لهم علامات حضارية جميلة في بلدتنا مثل الكاتدرائيات والحدائق .. أما اليابانيين فأشعر أنهم سمجون جدا .. ولم نأخذ من مجيئهم سوى اللون الأصفر.

أنا في هذا المحل الشهير في وسط الحي الأصفر .. محل ليفيز للملابس الجاهزة .. ألم ترني بعد؟ ها أنا أقف هناك في الفاترينة الزجاجية .. أنت ضعيف النظر جدا و أحمق مثل كافة بنو جنسك .. انظر جيدا وستراني .. هل ترى هذه الزبونة الذي أتت تتفحص قميصي في إعجاب؟ نعم إنه أنا التي أحدثك .. أنا هي تلك المانيكان الأنيقة يا صاحب العقل القاصر .. أنا سومارا التي لا يمر عليها شخص إلا و أبدى إعجابه بأناقتها .. بعقليتك القاصرة أسمعك تسأل نفسك كيف أحدثك؟ بل من أنا أصلا؟ كنت أود أن أحكي الحكاية التي أدخرها لك سريعا .. لكن يبدو أنني يجب أن أفسر لك ما هيتي أولا.

نحن هنا منذ البداية .. نحن هنا قبل أن تأتوا أنتم .. هنا منذ ملايين السنين .. والأرض بأكملها كانت ملك لنا وحدنا .. وعندما نزل جنسك البشري إلى الأرض .. حكم علينا بالاختفاء .. تسألني من نحن؟ إننا الجن أيها القاصر .. الجن الذين تحجمت جميع ممالكهم وإمبراطورياتهم ونفوذهم بسبب كائن أحمق مثلك .. لكننا موجودون .. أنت لا تدري بقصورك و غرورك أننا في كل مكان حولك .. بل إن منا من وُكلوا ليكونوا قرناء لشخصك القذر يتابعك أينما تذهب .. ولولا أن هناك حدودا وضعت بين جنسنا الفاخر وجنسك الضعيف لكنا حولنا حياتك إلى جحيم .. وكل حد بين شيئين يجب أن تكون فيه ثغرات عدة .. وبسبب كرهنا الشديد لك فقد أصبحنا خبراء في استغلال هذه الثغرات .. وسنظل نفعل هذا ولن نمله على الإطلاق.

نعم أنا الجنية التي تسكن ذلك المانيكان بريء المنظر الذي يتوسط هذا المحل .. إن الجان أنواع عديدة تفوق قدرتكم على التفكير .. وأنت لا تتخيل أن هناك جنس كامل منا يسكن في تلك الأجساد والتماثيل التي تصنعها أيديكم .. شرط أن يكون هذا الجسد برأس ذات رقبة .. سواء كان جسد إنسان أو حيوان أو حتى جسد كائن خرافي .. فور انتهاء صانعيكم من صنعه يحل فيه واحد من بني جنسنا .. وأنتم تفرطون في صنع هذه الأجساد بمسميات كثيرة .. الأصنام الأثرية .. التماثيل في المتاحف أو الميادين .. المانيكانات .. ألعاب الأطفال بأنواعها .. أيها القاصر .. هل أدركت الآن أننا حولك في كل مكان وأنت لا تشعر؟

مهلا .. هناك وجه جديد أراه لأول مرة يعمل في محلنا .. فتاة مكتنزة جميلة.. ذات ملامح غير مريحة .. يبدو أنه قد تم تعيينها اليوم فقط.

إنها ترتدي ذلك الزي الأزرق الذي ترتديه العاملات في محلنا .. قميص و تنورة قصيرة فوق الركبة وربطة شعر زرقاء .. إنها تضحك مع جريس .. جريس تعمل هنا منذ سنوات ويبدو أنهما سيكونان صداقة ما .. هي أحد المحظوظات .. لأنه لا يعمل في محل ليفيز الشهير إلا المحظوظات فقط .. قطع ضحكاتهن أن دخل المحل شاب ياباني وسيم ألقى التحية بصوت عال .. كان يحتاج إلى بزة رسمية .. وهاهي جريس قد ساقته وراءها لتختار له شيئا مناسبا .. وهاهي تلك الفتاة الجديدة - التي عرفت فيما بعد أن اسمها هو مادِل - تمشي وراءهما لتتعلم كيفية جعل الزبون يخرج من المحل وقد صرف كل ما يملك.

الحكاية المعتادة .. الشاب غاب عقله تماما عن جريس التي نبحت صوتها في الكلام عن هذه البزة أو تلك .. بينما عيناه تسترق نظرات إلى مادل .. إنه عيب هذه المهنة .. من الصعب أن تكمل فيها فتاة مكتنزة جميلة .. لكن مادل رسمت وجها ثلجيا وأبدت أنها تهتم لكل كلمة تقولها جريس .. الشاب استنفذ كل الطرق التي يمكن أن تجذب بها اهتمام فتاة ما .. لكن الجليد على وجه مادل كان يزداد .. جرب الفتى أن يكون طريفا ففشل .. جرب أن يضيق عينيه من حين لآخر ليعطي انطباعا بالخطورة ففشل .. جرب أن يسأل مادل عن رأيها في كل قطعة

تعرضها له جريس فكانت تقول كلمات مقتضبة جدا من النوع الذي يقتل فيك أي رغبة للحديث .. في النهاية تظاهر الفتى أن وراءه أمر ما .. فقط ليعود ثانية بالطبع فيجرب مرة أخرى .. هذا السيناريو رأيته آلاف المرات .. وسيتكرر اليوم عشرات المرات مع عشرات الفتيات .. ألم أقل أنها حياة رتيبة؟

دعك من هذا وقل لي .. هل أخبرتك كم يكرهك جنسنا؟ وكيف أننا نستغل أي فرصة للظفر بك؟ أنت لا تعرف أن جنسنا هو الذي يسبب أي حريق يحدث في هذا الكون .. راجع الملفات الجنائية لأي حريق وأحص بنفسك عدد المجسمات والتماثيل التي كانت موضوعة في المكان .. كيف نسبب الحريق؟ سؤال أحمق كصاحبه .. سل لماذا نسبب الحريق .. لازلت تجعلني أتكلم في أمور لا أريدها .. إن جهلك لا يطاق.

لقد أتينا من النار .. هي جزء من أرواحنا .. وعندما تتقد وتشتعل في عالمك القاصر ، يكون الانضمام إليها من أجمل متعنا .. و الذوبان فيها هو قمة شهوتنا و نشوتنا .. لكن ليس لأجل النار نفسها .. بل لأجل الأرواح التي تحرقها في طريقها .. دعك من اللذة الغامرة التي تنتابنا عندما تحرق هذه النار أرواحا بشرية .. البشر ضحايا أغبياء .. ونحن نشعلها نارا كلما سنحت لنا الفرصة .. هل قابلت بشريا بعد أن مات

بالاحتراق؟ هل حدثك عما رأى؟ هل حدثك عن جنسنا؟ لن أتحدث أكثر من هذا .. التزم الصمت و دعني أكمل لك ما بدأته.

في اليوم التالي دخل علينا الشاب الياباني واسع العينين نفسه و ألقى التحية بصوت عال .. اتجهت له جريس و تكلما بضع دقائق .. ثم مشت ومشى وراءها .. أشارت لمادل لتتبعهما ففعلت .. وها هي تعرض له أنواعا من البزات .. وها هو ينسى كل شيء ويحاول أن يجذب انتباه مادل التي رسمت الوجه الثلجي إياه .. وأجابت بنفس العبارات المقتضبة إياها .. في النهاية مثّل الفتى وكأن هناك موعدا هاما وراءه وانصرف بسرعة .. هذا يبدو مألوفا جدا .. لقد قلت أن الحياة رتيبة وتتكرر .. لكن ليس هكذا .. في اليوم التالي أتى الفتى الوسيم إياه .. و ألقى التحية إياها .. و اتجهت له جريس .. و عرضت له الأنواع إياها .. و مادل كانت هناك بالوجه الجليدي إياه .. وفي اليوم التالي أتى نفس الشاب و ..

مهلا .. ألاحظ أشياء غريبة هذه الأيام بالفعل .. الفتى الكاشير الذي يدعى موديستو يتشاجر كل يوم مع رجل سمين ذو شارب كث يأتي و يبدأ بالتذمر على الأسعار ثم ينتهي بسب موديستو بأمه .. هناك كذلك طفل شحاذ ذو شعر أحمر ناري يدخل هنا كل يوم ويتفحص بعض الملابس في قسم الأطفال حتى يأتي رجل الأمن الضخم المدعو بينجي فيلقي به خارجا .. أرى الآن أمامي امرأة ممتلئة جدا تدخل مع زوجها

.. هذه تأتي كل يوم في هذا الوقت و تخرج وقد اشترت نفس أنواع الملابس ويخرج زوجها كل يوم متذمرا .. هناك فتيات يأتين هنا كل يوم بملابس المدرسة بعد انتهاء يومهم الدراسي و يقفن لتفحص نفس أنواع الملابس كل يوم .. وكل يوم يخرجن ضاحكات و لا يشترين شيئا .. وهاهو الفتى الياباني الوسيم يدخل مرة أخرى.

إنه منتصف الليل .. موعد إغلاق المحل قد حان الآن .. لازال هناك زبائن قليلة جدا يحاول الكاشير موديستو أن ينجز أمورهم بسرعة .. لم تمض عشر دقائق إلا وقد أصبح المحل خاليا .. وبدأ رجل الأمن يغلق أنوار المحل تدريجيا .. ثم أغلق أبواب المحل الكبيرة .. فساد الظلام الدامس .. و سمعته يغلق الأبواب الحديدية في الخارج .. ثم انصرف الجميع .. إنه وقت حريتنا الآن .. أخيرا يمكنني التحرك بهذا الجسد الغبي الذي أسكن فيه .. لست وحدي هنا .. هناك قبيلة كاملة من المانيكانات يتحركون الآن بحرية في المحل .. نعم .. نحن نأخذ حريتنا عندما تغيب عنا أعينكم القذرة .. لا خوفا منكم حاشانا .. و إنما لأن هذا قانون صارم جدا على جنسنا كله .. كل ذا رقبة يتحرك عندما تغيب عنه أعين البشر .. و البشر أغبى من أن يلاحظوا شيئا عند عودتهم إليه .. حتى لو تغير وضع وقفته فهم أغبى من أن يلاحظوا .. و إن لاحظوا فإن تفكيرهم أكثر قصورا من مجرد الشك في حقيقة ما حدث.

أرى الآن المانيكانات ميريل و نيبريدا و سيبلو و أفانسينا و ديلاروز كلهن وجدنها فرصة لفك القيد الذي كانت تحاصرهم به أعين البشر

وبدأوا في التحرك و الحديث بحرية .. بالفعل لاحظ الكل أن هناك مشاهد تتكرر كل يوم منذ أسبوع بشكل مستفز .. حتى أن سيبيلو أقسمت أن هناك شاب يأتي كل يوم ويتحسس قميصها بإعجاب ثم ينادي العامل و يصر أن يشتري القميص الموضوع عليها وليس الموجود على الرف .. ويصر على رأيه حتى يضطر العامل أن يخلع القميص عن سيبيلو و يبيعه إياه بسعر أغلى من سعره .. و يأتي الفتى كل يوم ويشتري كل قميص يضعونه على سيبيلو المسكينة.

طبعا كل ما أقوله لك الآن غريب على مسامعك .. لكننا اتفقنا على أنك قاصر العقل .. هذه الأمور نراها نحن أقل غرابة لأننا نعرف أكثر .. نعرف أن القرين بعد موت صاحبه وبعد مضي مئات السنين على الدفن ، يُكلف أن يعيد أداء مشاهد معينة من حياة صاحبه .. لماذا؟ لا أحد يدري .. ولا أحد سيدري .. إنها أسرار جنس كامل .. في عالمك إفشاء الأسرار شيء سهل جدا .. لكن عالمنا يختلف .. هذه أشياء مستحيلة الحدوث .. هذا يعني أن كل هؤلاء الذين يأتون و يروحون كل يوم في محلنا هم قرناء.. لكن لماذا يجتمعون كل يوم في محل ليفيز للملابس الجاهزة؟

إنه يوم جديد .. أرى نفس الشخصيات قد أتت و اجتمعت في المحل كل يؤدي مشهدا رأيته عشرات المرات من قبل .. جريس تحاول منذ أسبوع إقناع الشاب الياباني أن يشتري شيئا ما .. وهناك ذلك الشاب يجادل العامل في أمر قميص سيبيلو .. فجأة حدث شيء في غاية الغرابة .. بدأ بعض الشباب يغلقون أبواب المحل فجأة بعنف .. وعلت همهمة

الزبائن .. أفاق الحارس بينجي من غفوته .. لم يستوعب شيئا .. أخرج الشباب مسدسات من مكان ما و أطلقوا عدة طلقات في الهواء .. هذه عملية سطو مسلح .. والسطو على محل ليفيز في هذا الوقت من اليوم مربح جدا .. من ذا الذي قال أن الحياة مملة؟ كم أحببت هؤلاء الشباب.

صرخات نساء .. بكاء أطفال .. همهمات رجال .. طلقات مسدسات .. مجرمين يطالبون الكل بالجلوس على الأرض .. أرى الكل قد جلس .. لكن ذلك الطفل الشحاذ ذو الشعر الأحمر مازال واقفا بتحدي .. و أرى أيضا ذلك الرجل السمين ذو الشارب الكث كف عن التشاجر مع موديستو ووقف مقطبا جبينه رافضا الجلوس .. فتيات المدارس توقفن عن الضحك و نظرن نظرة جامدة و أبين أن يجلسن مع الجالسين .. الشاب الياباني إياه أراه يقف راسما أعتى علامات الخطورة على وجهه .. طلقات المسدس اشتعلت مرة أخرى .. صيحات مجرمين .. إنهم يهددون الواقفين بتحويل أجسادهم إلى مصفاة .. وهاهو أحدهم يصوب مسدسه على الرجل ذو الشارب الكث .. وهاهو الرجل يقف في تحدي .. وهاهو المجرم يطلق النار.

" لكن لماذا يجتمعون كل يوم في محل ليفيز للملابس الجاهزة؟ "

صرخات نساء ورجال .. نحيب أطفال .. كرش رجل ذو شارب كث ينزف دما بينما يقف الرجل مكانه وكأن كل هذا لا يعنيه .. مجرمون ينظرون في ذهول .. مجرمون آخرون يصوبون مسدساتهم ويفتحون النار على صاحب الشارب الكث .. دماء تنزف .. رجل سمين ذو

شارب كث يبدو بصحة عالية رغم أن جسده تحول إلى مصفاة .. مجرمون تحول ذهولهم إلى رعب جنوني وبدأوا في إطلاق النار في كل مكان على كل الواقفين .. طفل شحاذ ذو شعر أحمر ينزف دما أحمر من رأسه بينما ينظر في جمود .. فتيات مدارس لوثت ملابسهن المدرسية بدمائهن بينما ينظرن لبعضهن في فتور .. صرخات مجرمين .. زبائن مغمى عليهم أو ماتوا بالسكتة القلبية جرَّاء هذا الجنون لن تعرف أبدا.

" وجه جديد أراه لأول مرة يعمل في محلنا "

أسمع أصوات سيارات الشرطة بالخارج .. أرى المجرمين في حالة من الذعر .. ليس من الشرطة بالطبع وإنما مما رأوه بداخل محل ليفيز .. هاهم يفرون إلى الباب .. رغم أن الشرطة بالخارج إلا أنها أكثر رحمة من هذا العذاب .. يحاولون فتح الأبواب التي أغلقوها .. لكن لا مجال .. لقد أوصدت الأبواب .. لا تسأل عن الكيفية .. فقط أوصدت.

" فتاة مكتنزة متوسطة الجمال .. ذات ملامح غير مريحة "

نظر المجرمون إلى الخلف في رعب .. وهنا رأى الكل مشهدا عجيبا .. بدأت الملامح الجامدة لكل الواقفين الذين أخافوا المجرمين تتحول إلى ملامح مذعورة جدا .. ملامح رسمت عليها أعتى علامات الرعب .. وكانوا كلهم ينظرون إلى نقطة واحدة .. مادل .. التي بدأت تطلق النار

عليهم بدورها .. لكن في هدوء شديد .. وأصبحوا يتساقطون أمام طلقاتها .. لا تزعج عقلك القاصر بالتفكير .. هذه الفتاة هي قاتلتهم .. وموضوع تكرر المشاهد لم نلاحظه إلا بعد عمل هذه الفتاة في المحل .. كانت هذه هي قاتلتهم في حياتهم الحقيقية .. واضح أنها قرينة هي الأخرى .. وهاهي تكرر قتلهم بطريقة يبدو أنها هي نفسها الطريقة التي قتلتهم بها منذ مئات السنين.

مهلا .. أرى المانيكان ديلاروز بدأت في إعطاء إشارة ما .. هناك سيجارة مشتعلة سقطت من فم أحد المجرمين إلى الأرض الرخامية .. لكن ديلاروز نجحت في جعل السيجارة تلامس أحد أقمشة الملابس المعروضة .. نجحت ولم ينتبه أحد لحركاتها وسط كل هذا الجنون .. هذا يعني أن الموازين ستنقلب .. وأنه دورنا في هذه المسرحية.

نار بدأت صغيرة لكنها اشتعلت بسرعة غير مفهومة في كل ما حولها .. سرعة اشتعال النيران في الحرائق نحن سببها الوحيد .. فالجذوة الصغيرة يمكننا جعلها نيرانا رهيبة تأكل غابة بأكملها .. الناس تصرخ .. المجرمون يصرخون .. هناك أجساد واقفة تنزف منها الدماء وتنظر لكل ما يحدث في برود تام .. واشتعلت النار أكثر .. أسمع ضربات على الأبواب بالخارج .. هناك نوافذ لكنها عالية جدا وتحتاج لسلالم ليمكن الوصول إليها.

الكل في الداخل أصبح يجري و يصرخ .. ضربات على الأبواب و محاولات مستميتة لفتحها دون جدوى .. تسألني من أوصد الأبواب

فجأة هكذا؟ لا تستهن بجنسنا أيها القاصر .. لحظة إنهم يكسرون الباب من الخارج .. إنهم ينجحون في هذا .. لقد كسروا الباب الكبير الرئيسي .. الكل في الداخل والخارج توافد على الباب .. أناس بالداخل يودون الخروج .. و شرطة بالخارج تحاول الدخول للقبض على بعض من في الداخل .. لكن مهلا .. فجأة سقطت كل الأبواب الحديدية الخارجية واصطدم بها الجميع؟ هل ستعاود سؤالي عمن أنزل الأبواب أيها القاصر عديم النفع؟ من خلال الباب أرى في الخارج سيارات مطافيء قد وصلت للمكان و بدأت في تحريك سلمها في اتجاه النوافذ العالية .. لكن هيهات .. لقد كان حفلنا قد بدأ .. وصل حجم النار إلى الحجم الذي يسمح لنا بالتحرر .. وقد تحررنا.

نعم يمكنني أن أقول أنها كانت ليلة غاية في اللذة و الإشباع .. أرواح بشرية بريئة .. وأرواح مجرمين .. وروح قاتلة مسلسلة .. وقرناء سيئ الحظ .. إن جنسنا هو الذي يسود في النهاية .. لا أحد يقف أمام النار .. نيراننا توقدت في وجه رجال الإسعاف الذين كسروا النوافذ و بدأوا في إطلاق المياه من خراطيمهم السخيفة .. هؤلاء تساقطوا من فوق النوافذ إلى داخل المبنى و ليس إلى الخارج .. من الممتع إضافة أرواح أبطال المطافيء أيضا إلى المجموعة.

في داخل محل ليفيز للملابس كنا نتحرك .. فجأة رأى الناس مجموعة من المانيكانات دبت فيها الحياة و توحشت ملامحها وصارت تعطي تعبيرات بوجوهها كالبشر تماما .. وتوحشها ليس توحشا عاديا .. كان توحشا رهيبا حارقا .. كنا نمسك بواحد من هؤلاء البشر و النار مشتعلة

فينا .. و نقبض على جسده حتى تشتعل فيه النار .. ويحترق .. ليس فقط يحترق .. إنه يحترق و تحترق روحه معه.

إنها لذة ما بعدها لذة .. لقد قدرت جريدة مالايا الفلبينية عدد ضحايا هذا الحريق بحوالي مائتان و سبعون شخصا .. وكتبت كلمات بشرية حمقاء عن الخبراء الذين تحدثوا عن ماس كهربائي ما .. وعن تحليل جنائي للحريق وعلاقته بمجموعة المجرمين الذين صادف وجودهم هناك في ذلك الوقت.

مرحبا بكم مرة أخرى .. محدثتكم سومارا من محل يوكاي للملابس الجاهزة على أطراف مانيلا .. نعم أنا المانيكان .. هل تفتَّح عقلك و أصبحت تدرك معنى هذه الكلمة الآن يا صاحب العقل القاصر .. لن أعرفك على باقي المجموعة .. يمكنك رؤيتهم بنفسك .. نيبريدا و سيبيلو و أفانسينا .. كلهن واقفات بأناقة هنا وهناك .. و مجموعة من الوجوه البلهاء تنظر لهن في إعجاب .. نحن المانيكان .. بل نحن أكثر من هذا .. لطالما كنا نراقبك .. وسنظل نراقبك .. و إننا نراقبك الآن .. لا تنظر لنا هكذا أيها القاصر .. فقط تذكر ما قلته لك يوما .. لولا أن هناك حدودا وضعت بين جنسنا الفاخر وجنسك الضعيف لكنا حولنا حياتك إلى جحيم .. لكنها فقط مسألة وقت .. نعم .. إنها مسألة وقت.

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية ذات العنق الطويل

(قصة حقيقية)

يرويها : مصطفى توفيق - رأس البر (مصر)

" أن تطيل امرأة من قبائل الزامبيزي عنقها فهو أمر عادي .. أما أن تفعل ذلك فتاة مصرية في العاشرة من عمرها فهو أمر مخيف "

إن المصايف المصرية لها مزية هامة جدا .. أنه لا يمكنك أن تشعر فيها بالسأم أبدا .. الشوارع صاخبة من الفجر إلى الفجر .. باعة الترمس والفيشار في كل مكان يذكرونك دائما أنك حتما جائع .. صوت الأمواج الرتيب يصلح أن يكون خلفية موسيقية لو كان هذا مشهدا ما في أحد الأفلام .. طفل يمشي بالآيس كريم على الكورنيش وكأنه لايعبأ لأي شيء في هذا العالم .. وكنت أنا هذا الطفل - في الثانية عشر من عمري - أمشي في شوارع " رأس البر" .. مدينة ساحلية تستخدم كمصيف في مصر .. كنت سعيدا جدا اليوم .. فبعد قليل سيأخذنا أبي إلى الملاهي .. هذا رائع .. سيكون هناك بيت الرعب و السيارات التي ماصنعت إلا لتتصادم والكثير من الآيس الكريم المنعش .. ياللي من شخص محظوظ حقا.

إن أبي شخصية أكاديمية جدا فيما يتعلق بالملاهي .. " هيا .. إن لكل واحد منكم أن يركب ثلاثة ألعاب فقط .. هيا انطلقوا الآن " كل الآباء لا يسمحون سوى بثلاثة ألعاب فقط .. هل هو قانون ما؟ لقد كنا ونحن أطفال نلتزم حرفيا به ونشعر أنه ليس من حقنا أبدا لعبة رابعة .. لكن والد مراد يسمح لهم بخمسة ألعاب .. لابد أن مراد شخص سعيد جدا في حياته.

لم تكن الملاهي التي ذهبنا إليها كالملاهي الحديثة التي نراها الآن .. كانت أشبه ببعض الخردوات التي جاؤوا بها من مكان ما وصنعوا منها ألعابا .. هناك ضوء يتسلل من مكان ما في بيت الرعب يسمح لك برؤية كل تماثيل المسوخ قبل أن تصل إليها .. المفترض أن يكون

مظلما تماما .. سيارتي المتصادمة هي الوحيدة التي لا تتجه نحو اليسار أبدا .. فأنا مجبر دائما على الانعطاف يمينا في دائرة مملة .. من سمى هذا المكان ملاهي؟ ظللت أمشي في هذا المكان باحثا عن شيء ما لا أعرفه حتى استوقفني شخص غريب.

رجل يرتدي ثياب المهرجين ويضع طربوشا على رأسه وهو يشعر أنه ظريف جدا .. طوال حياتي وأنا لا أحب المهرجين .. ولا أجد فيهم ما يستدعي الضحك .. بل إنني أشعر بالرعب في بعض الأحيان إذا تخيلت أن أحدهم ظهر لي في ذات ليلة مظلمة .. كان الرجل يبتسم بلزوجة ناظرا إليَّ وهو يقول بلهجته المصرية :
- إيه يا حبيبي .. زعلان ليه؟ .. خد دي.

وأعطاني بعض الحلوى .. نظرت إليها فعرفتها فورا - نحن الصغار نحفظ جميع أنواع الحلوى - كانت من النوع الذي لا أفضله .. شكرته واستدرت متأهبا للانصراف .. وهنا دوى صوت ما من مايكروفون ما في مكان ما يقول بلهجة تقريرية :
- السادة الزوار .. إن عرض "حنكوشة " سيبدأ بعد دقائق قيلة .. نرجو منكم التوجه إلى مسرح الملاهي الآن .. الدخول مجاني .. وستشاهدون فقرة الساحر مختار المثيرة من ضمن البرنامج .. نرجو منكم الإسراع لأن العرض على وشك أن يبدأ .. وشكرا لكم.

رأيت المهرج يستدير متعجلا إلى مكان ما .. لقد كنت قد أنهيت ألعابي الثلاثة .. لكنني أريد بقاء أطول وقت ممكن في هذه الملاهي الخربة

لأنني لا أريد الذهاب إلى الشاليه - الفندق - الضيق الآن .. فلأحاول إقناع أبي بحضور هذا العرض .. بحثت عن أبي هنا وهناك .. وأخيرا وجدته يوبخ أخي الصغيرعلى فعل من أفعاله الشقية التي يمارسها كهواية .. ذهبت له .. تحدث معي كثيرا على أنه مرهق ويريد النوم .. لكنني كنت مصرا كمستعمرة من الذباب .. لم يجد أمامه مع كل هذا الإلحاح إلا ان يوافق .. يوافق على دخولنا عرض حنكوشة .. ولا أدري كيف يخترعون هذه الأسماء.

المهرج يحاول قفز الحبل ويتعثر ويقع مرات عديدة متظاهرا بالبلاهة .. ثم يقرر أن يجد شيئا جديدا يفعله بالحبل فيفرده على الأرض ويمشي عليه فاردا ذراعيه متظاهرا بأنه يحاول التوازن .. إنه يظن أنه طريف .. الناس يضحكون بشدة وكلهم من ذوي الشوارب .. كيف يضحكون على هذا السخيف ولايضحكون على توم وجيري؟ لن نفهم الكبار أبدا .. جاء بعد المهرج عرض القرد - الذي دائما مايكون اسمه ميمون - كان هذا لطيفا نوعا ما .. ثم جاء نافخ النار .. وبعده المهرج السخيف مرة أخرى .. ثم دوى الميكروفون ليذكرنا أن أهم عرض سنراه في حياتنا سيبدأ بعد لحظات .. عرض الساحر مختار.

وهنا دخل الساحر مختار .. شاب مصري أسمر كالذي تراه في كل مكان هنا في مصر .. يلبس بنطلونا و قميصا و لاشيء فيه يختلف عن ذلك الشاب الذي يجلس بجانبي .. كنت أعلم أن هذه الملاهي مملة .. هنا وقف مختار هذا في وسط المسرح تماما و تكلم .. وهنا بدأت أشعر أنه مختلف .. كان يتكلم بثقة وبطء ورزانة .. قال أن لديه عرضا لنا لن

نصدقه أبدا .. لا هو من ألاعيب الحواة .. ولا هو خدعة .. ولا هو أي شيء آخر يخطر على بالنا .. صمت الجميع في ترقب بانتظار ما سيقدمه .. جاء بعض الرجال بطاولة قصيرة وضعوها في منتصف المسرح تماما .. ثم أتوا بشيء غريب جدا .. سأحاول أن أصفه لكم الآن .. ترى كيف يوصف هذا الشيء؟

كان أشبه بقمع .. نعم قمع ذا عنق طويل .. وقاعدة عادية مغلقة .. كان طول عنق القمع مثل طول ذراعك .. وقاعدته عادية كأي قمع آخر .. وضعوا هذا القمع على الطاولة .. وضعوه مقلوبا على قاعدته .. وأحضر الرجال ستارا داكنا ليحجب الطاولة والقمع .. ثم دخل الساحر مختار وراء الستار ببطء .. كنت أفكر فيما قد يفعله هذا الساحر بذلك القمع الطويل .. أخذت أحاول أن أستنتج شيئا ما مرارا لكنني فشلت .. ثم قررت الاستسلام والانتظار لأرى بنفسي .. وهنا أزاحوا الستار فجأة ورأينا كل شيء .. رباه .. لقد كانت لحظات مروعة.

كل شيء كان كما هو .. الطاولة وعليها القمع .. لكن كان هناك شيء آخر .. رأس .. رأس فتاة صغيرة تبرز من فتحة عنق القمع .. حاولت الاقتراب بعنقي لأتأكد أنني لست واهما ولا معتوها .. يا إلهي .. إنها رأس فتاة .. الفتاة تنظر إلينا وتحرك رأسها .. رأسها الذي يبرز من فتحة القمع .. أين عنق هذه الفتاة بالضبط؟ هل هو بداخل عنق القمع الرفيع الذي لايزيد قطره عن قطر قلمك الجاف .. ثم أين جسدها؟.إن الطاولة أسفلها خالية تماما ولا يوجد شيء ما محجوب منها .. وهنا دعانا الساحر مختار لأغرب شيء يمكنك أن تسمعه من ساحر .. دعانا

للاقتراب من رأس الفتاة والدوران حولها وتفحص الطاولة وماتحتها وحولها جيدا للتأكد أنه لا يخدعنا.

هنا ترددت قليلا .. هل أذهب لهذا الشيء؟ رأيت العديد من الرجال والنساء يقومون من مقاعدهم متجهين لطاولة الساحر .. رأيت أبي لازال جالسا بهدوء يحاول اختراق أجسادهم بعينيه ليرى رأس الفتاة .. وهنا قمت من مقعدي .. يجب أن أرى هذا الأمر عن قرب .. لقد ظننت أن هذه الملاهي مملة .. لكنني كنت مخطئا تماما.

كنت قصيرا في ذلك الوقت لذا اخترقت أجساد الرجال أمامي بسهولة محاولا الوصول إلى الطاولة .. لقد كانوا متزاحمين تصدر منهم همهمات الاستنكار والاستغراب والتساؤل والغضب والقسوة و الرعب .. نعم همهمات فيها كل هذه المعاني .. لكنني لم أهتم .. ظللت أخترق الصفوف حتى وجدت نفسي أمامها فجأة .. أمام رأس الفتاة.

كانت رأسا كالتي تراها تزين عنق أي فتاة في العاشرة من عمرها .. لكن هذه كان شعرها بني قصير وبشرتها قمحية فاتحة .. ملامحها جميلة وعينيها لم تكن تنظر إلى أحد من الجموع المحتشدة حولها .. لقد كانت عيناها تنظران إلى اللامكان .. سارحة في دنيا أخرى .. أحيانا تحرك رأسها .. وأحيانا تغمض عينيها في تعاسة .. وعندما برزت أمامها فجأة كالقدر أدارت رأسها .. ونظرت إلي.

إن كل الفتيات اللواتي يستخدمهن السحرة في ألعابهم السحرية على

المسارح يكن واثقات جدا ومبتسمات جدا .. إلا هذه الفتاة .. نظرت إليَّ في تعاسة .. نظرت إليَّ في ألم .. كنت أعرف أن بالأمر شيء غير طبيعي .. فلم أكلف نفسي باكتشاف أسفل المائدة أو القمع لأنني لن أجد شيئا .. إن ما أراه أمامي الآن هو نوع من السحر .. السحر الأسود.

أغمضت عيناها مرة أخرى ثم ازدردت لعابها .. ثم فتحت عيناها ونظرت إليَّ ثانية .. كنت أنا مندهشا جدا فلم أبد أي حركة إيجابية .. ظللت أنظر إليها كالغبي .. ثم شعرت بحركة ما خلفي .. عرفت أن الرجال بدأوا بالانصراف مبسملين ومحوقلين ولاعنين هذه الألاعيب الشيطانية .. وهنا ألقيت نظرة متوترة أخرى إلى الفتاة التي كانت تنظر إلى اللامكان من جديد ثم استدرت عائدا .. رأيت أمي تمسك بالكاميرا وتصور .. رائع .. إن هذا المشهد يستحق التصوير وإبقائه عندي إلى الأبد .. عدت إلى مكاني ورأيتهم يحركون الستار مرة أخرى لحجب الطاولة.

وعندما فتحوا الستار مرة أخرى لم يكن هناك أثر لرأس الفتاة .. كانت الطاولة .. وعليها القمع .. نظرت هنا وهناك باحثا عن رأس فتاة يتجول بالجوار لكنني لم أجد له أثر .. سمعت أبي يقول في ثقة أن مختار هذا ساحر .. وأنه استعان بالجن فيما فعل .. وأخذ يستعيذ بالله من السحرة وشرورهم .. لكنني لن أنسى تلك النظرة التي نظرتها لي الفتاة ما حييت .. نظرة استنجاد .. نظرة ألم لم تحاول إخفاءه .. لقد كانت مسكينة .. ولست ادري مالذي فعله بها ذلك الساحر اللعين وهي بعد في العاشرة من عمرها.

غادرنا الملاهي وأنا شارد في كل ما حدث .. كنت أريد أن أرى تلك الصورة التي صورتها أمي للمشهد .. لم أحتمل الانتظار .. أخذت الكاميرا وصورت باقي الصور حتى أنهيت الفيلم .. ثم ذهبت في اليوم التالي إلى الاستوديو .. قالوا لي أن علي استلامها غدا في نفس الموعد .. يالهم من كسالى.

شعرت بالتعاسة الشديدة بعد ذلك .. فعندما استلمت الصور وجدت صورا عديدة لأخي يبتسم في بلاهة أو لنا مجموعين في صور عائلية .. بحثت عن تلك الصورة فلم أجدها مطلقا .. عرفت من عاملة الاستوديو أن هناك صورة واحدة احترقت للأسف خلال التحميض.

هل هو حظ سيء؟ هل هو سحر أسود؟ هل هو جان؟ لن أعرف أبدا .. لكنني موقن تماما أنني في يوم ما كنت على بعد سنتيمترات قليلة من فتاة مسحورة .. يالها من تجربة .. حقا يالها من تجربة.

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية الدماء المقدسة

ترويها : د.بريانكا شونرا - بومباي (الهند)

"يابني أنا والدتك .. لكنك إذا رأيتني وقد طال الشعر على وجهي و تقوس ناباي و أصبحت أكره نور الصباح ، فاقتلني يابني "

كم أمقت تلك الأيام التي كنت فيها واحدة من أمثالكم .. أفكر مثلكم .. أحلم أحلاما حمقاء و أبحث عن متع زائفة .. أتجمل و أتعطر لأبدو أكثر احتراما أمام أناس يتجملون و يتعطرون لنفس السبب .. أقرأ كتبكم البلهاء لأبدو أكثر ثقافة أمام مجموعة من الجهلاء .. والآن أنظر إلى ما أنتم عليه من التدهور ثم أنظر إلى مرآتي و أبتسم .. لست شخصية أنانية لأستأثر لنفسي بما وصلت إليه .. بل إن هدفي هو أن يرتقي غيري في السلسة الحيوية كما ارتقيت .. أعود وأنظر إلى مرآتي و أبتسم .. و ناباي يبتسمان معي في سخرية.

سأتبسط في حديثي نوعا ما .. فأنتم تحتاجون إلى هذا .. أنا الدكتورة بريانكا شونرا ، استشارية أمراض الدم الشهيرة بمستشفى العائلة المقدسة في بومباي بالهند .. توفي زوجي و أنا طالبة في الكلية خلال السنين الأولى من زواجنا .. كنت قد أنجبت منه ابني راج .. بعد وفاة زوجي كرست حياتي كلها من أجل راج .. وراج وحده .. لأجله تخرجت من كليتي بدرجات عالية .. ولأجله وحده سافرت إلى انجلترا ثم أمريكا لأحصل على الماجيستير و الدكتوراه وهو معي .. ثم عدت إلى الهند .. كان تخصصي في الطب هو أمراض الدم .. ولا أدري لم اخترت هذا المجال بالذات .. لكني شعرت أنه الأنسب.

وصلت إلى كل ما تحلم به أية طبيبة في الهند من ناحية المادة و مستوى المعيشة المتقدم .. سيارة فاخرة .. بيت كبير في بندره بمدينة بومباي .. راتب شهري يزيد جدا عما يجب أن تكون عليه حاملة الدكتوراه من أمريكا .. ربيت راج تربية صارمة جدا .. كنت أختار له

كل شيء منذ أن كان طفلا مرورا بمرحلة المراهقة وحتى هذه اللحظة وهو في بداية العشرينات .. ملابسه .. قصة شعره .. وحتى كلية الطب فرضتها عليه فرضا .. فرضت عليه الفتاة التي يجب أن تكون زوجته .. ولكن راج عند هذه النقطة عصاني .. نعم يمكنك أن تفرض على أي شخص أي شيء إلا أن تفرض عليه أن يحب أو يكره.

هذه مشكلة كل أم في العالم تربي ابنا وحيدا .. هي تُفني عمرها كله من أجله فقط لتأتي طفلة من صاحبات الصدور غير المكتملة لتأخذه على طبق من ذهب .. فقط لأنها ضحكت له ذات مرة في بلاهة .. لن أسرد لكم تلك الدراما الاجتماعية المألوفة .. أنتم في غنى عن كل هذا .. بل إن كل هذا سخف بشر .. ولست هنا للحديث عن سخف بشر .. تعرفتم عليَّ بما فيه الكفاية الآن .. ما أنا هنا للحديث عنه هو الطوق الذي سينقلكم من بحر السخف الذي تعيشون فيه إلى بر الرقي .. أنا هنا لأحدثكم عن البورفوريا .. وتذكروا هذه الكلمة جيدا.

إن الدم مخلوق عظيم .. هو ليس مجرد سائل كما تقول كتبكم .. بل إنه مخلوق .. لأنه حي .. كل شيء فيه حي .. بداية بالبروتينات التي تنقل الغذاء وانتهاء بالخلايا البيضاء الدفاعية .. لقد نوهت لك أنني استشارية في أمراض الدم .. تعلمت الدم في أرقى مدارسكم العالمية .. علمتموني أن البورفوريا مرض خبيث يصيب الدم و يجب التخلص منه قبل أن يتفاقم .. و بذلتم جهودا خرافية لعلاجه حتى نجحتم وببراعة .. إن البورفوريا أيها الجهلة هي حالة مقدسة تمر بها دماؤكم البشرية لترتقي .. أنتم تذكرونني بالشخص الذي اكتشف جذوة نار دافئة في صحراء

شديدة البرودة فأطفأها ظنا منه أنها ربما ستحرقه.

تقول كتبكم أن الدم يتركب من مادة معقدة نوعا ما تدعى هيموجلوبين .. و أن الجسم يصنع هذه المادة ذات الاسم المعقد من مادة أبسط تدعى هيم .. هذا ما تتشدقون به ليل نهار .. لكن عندما يحدث تحور غير مفهوم - كما تقولون - في مادة الهيم البسيطة ، فإنها لا تصنع هيموجلوبين في النهاية بل تؤدي لصنع مواد أخرى غريبة - كما تقولون - أحدها يدعى البورفرين .. وهذا الأخير عندما يتراكم في الدم يوصله لحالة مرضية - كما تقولون - تدعى البورفوريا.

علمتمونا كيف نعرف مريض البورفوريا عندما نراه أمامنا .. ألم رهيب في البطن .. قيء متكرر .. ثم نلاحظ أن المريض زادت نسبة الشعر في وجهه .. و أصبح حساسا جدا لأي ضوء .. ثم وفي النهاية يلتوي ناباه و يزيدان في الطول .. بعدها تبدأ حاجته إلى الدماء تزيد شيئا فشيئا .. هل يذكركم هذا بشيء؟ بالطبع أنتم تأخذون هذا المريض إلى عياداتكم و تعطونه كل الدماء التي يحتاج إليها بأسلوب طبي ثم تعزلوه عن الناس حتى لا تعدي حالته أحدا .. و تعالجونه حتى يعود إلى طبيعته.

ما لا تقوله كتبكم ولن تصل إليه عقول علماؤكم هو أن من تأتيه البورفوريا يبدأ دمه في التحور من الدم البشري ليصبح ذا طبيعة أخرى أكثر رقيا .. طبيعة الفامباير .. أو كما تسمونه في مصطلحاتكم الناقصة بمصاص الدماء .. أنتم أطلقتم هذا الاسم لأول مرة على الامبراطور

فلاد الثالث ، امبراطور مقاطعة والاشيا برومانيا والذي أسميتموه "دراكيولا " أو الشيطان .. رغم أنه لا علاقة تربطه بالشياطين .. إن السيد فلاد ليس أسطورة خيالية .. لقد ارتقى السيد فلاد وتحور من الطبيعة البشرية إلى طبيعة الفامباير المقدسة .. بل و أصبح أشهر فامباير بالنسبة إليكم .. ليس هو كبير عشيرة الفامباير كما هداكم خيالكم المريض .. هو فقط أكثرهم شهرة .. بالطبع استلهمتم من شخصيته الكاسحة أفلاما و روايات لا عدد لها .. وجنيتم من وراءه أموالا لا حصر لها كعادتكم البشرية المعروفة.

كثير من البؤساء المشهورين أتاهم ذلك النداء - البورفوريا - لكنكم حطمتموه قبل اكتماله .. و أشهرهم الملك جورج الثالث و جدته ماري ستيوارت .. أنتم تظنون أن الفامباير هي أجناس مرعبة و مؤذية كالجن و الشياطين .. هذه حماقة .. إن هدف مصاص الدماء .. أي مصاص دماء هو ترقية البشرية و إعطائهم شرف الوصول إلى الحالة التي وصل هو إليها .. فيما سيأتي سأحكي تجربتي الشخصية مع البورفوريا .. أنا ارتقيت من استشارية بشرية شهيرة حمقاء إلى أكبر مصاصة دماء في الهند بأكملها.

بدأ كل شيء بالصدفة .. في السنين الأولى من عملي بمستشفى العائلة المقدسة .. بالمناسبة هذا مجرد اسم وضعوه للمستشفى لكنها لا تتعلق بأي عائلات مقدسة .. بدأت الحكاية عندما دخلَت على عيادتي الشهيرة فتاة متوسطة الجمال في مرحلة المراهقة .. فاتحة اللون عكس معظم فتيات الهند و ذات عيون بنية يائسة .. تملك شعرا أصفر جميلا تجعله

كبنات المدارس الصغيرات حيث ترى خصلتين يخرجان من الشعر كقرون الاستشعار .. كانت تبدو مريضة جدا .. اللون الأصفر الشاحب ينطق من وجهها المراهق ويعطي تأثيرا دراميا مع لون شعرها .. أنا استشارية أمراض دم .. ومجيء هذه الفتاة عندي يعني أنه تم اكتشاف أن لديها غالبا فقر دم ككل الفتيات اللواتي يأتين إليَّ كل يوم ويتبين أن لديهم نوع من أنواع فقر الدم الخمسة .. لكن ومنذ نطقت الفتاة كلماتها الأولى اتضح لي أنها حالة من الحالات التي يعرف الطبيب أنها ستستهلك الكثير من وقته بالفعل.

بورفوريا .. هذا مؤكد .. رأيت حالات بورفوريا نادرة فيما سبق من حياتي كان معظمها أثناء إنهائي لرسالة الماجيستير في لندن .. مريض يشكو من الآم في البطن و يحكي عن هلاوس يراها ويسمعها طيلة الوقت لدرجة أن معظمهم يتم تحويلهم للعيادة النفسية لتشارك في العلاج .. كانت الفتاة تدعى ريا .. وهذا كل ما يهمك معرفته حاليا.

كانت ريا هي أول حالة بورفوريا أراها في الهند .. وقد تصرفتُ كما تتصرف أي طبيبة استشارية تستحق مركزها وبدأت في طقوس العلاج بالترتيب الذي تعلمته و أعلمه لتلامذتي .. لكن ريا كانت تتصرف بحدة .. وترفض العلاج بقسوة إلى حد أننا كنا نكبلها على سرير المستشفى لنسقيها أو نحقنها العلاج بالقوة .. لا أفهم لماذا أتت إلينا لو كانت ترفض العلاج بهذه الطريقة .. كل ما قالته لنا هو أنها فتاة في السنة الأولى من الجامعة .. و أنها تريد أن ترتاح من آلامها .. و أن اسمها

ريا .. و أنها هاربة من بيت أهلها مؤقتا.

- مقدسة أنفاسنا .. مقدسة دماؤنا .. من الظلام المقدس أتينا .. و في الظلام المقدس نعيش .. وإلى الظلام المقدس نعود.

- ماذا تقولين يا ريا؟

- خلقنا منذ خلقت الدماء على الأرض .. محرم علينا النور .. محرم علينا الهرم

- إلى متى ستعيشين وسط هذه الأوهام يا فتاتي؟

- دماؤكم غذاء أرواحنا .. منها نرتوي .. و ..

- أفيقي يا ريا .. أفيقي .. فلترحمنا السماء

- نهاركم ليل لنا .. و ليلكم نهار لنا

- ريا؟

- نداؤنا شرف لكم .. فمنكم من يرضى الشرف .. ومنكم من يرضى العار

لقد كانت ريا فامباير .. لم أكن أفهم شيئا وقتها .. كانت دماؤها تمر بالحالة الانتقالية المؤلمة التي يجب أن يمر بها أي فامباير .. لسبب ما كنت أقدم لها العلاج بشكل غير كامل .. ربما شفقة عليها أو استجابة لرغباتها .. وربما فضول لأرى هذه الحالة الغريبة عن قرب .. رأيت

كيف نمت لها شعيرات خفيفة ملحوظة على وجنتيها .. وكيف بدأت أنيابها تطول وتلتوي حتى أصبحت مخيفة فعلا .. وكيف كنت أكبلها على السرير فتجد قوة هائلة لفك القيد والانقضاض عليً .. أذكر كيف كانت شراستها حين خمشتني بأظفارها وفي وجهها ذلك التعبير الشبيه بالنمور .. وكيف حاول رجال الأمن إيقافها فاندهشوا من قوة جسدها الضعيف ثم أذكر كيف راوغتهم و هربت .. أذكر أيضا كيف تغيرت حياتي بعد تلك الليلة .. وكيف فهمت كل شيء على حقيقته.

قرأت كل شيء كتب عن الفامباير و جنسهم .. وكان كل ما قرأته كلاما فارغا جدا .. يتحدثون عن قتلهم بالثوم و أن إبراز الصليب يؤذيهم .. أنا فامباير تحترم نفسها .. وهؤلاء لا يعرفون أنني الآن أمارس حياتي اليومية كأي إنسانة و أطبخ يوميا باستخدام الثوم .. ثم أنني أعلق صليبا ذهبيا صغيرا على رقبتي .. فرغم أنني هندية إلا أنني لا أؤمن بالهندوسية و دجلها .. فأنا من الطائفة المسيحية في الهند .. قرأت أيضا أن الفامباير لا يموتون بل يعمِّرون أبد الدهر .. هراء .. نحن نموت كما تموتون تماما و حالتنا المقدسة لم تعط لنا أي ميزة فيما يتعلق بالعمر .. نحن فقط لا نهرم ولا نشيخ .. لكننا نموت بنفس الطرق التي تموتون بها .. قراءتي لكل هذه التفاهات زادتني حيرة على حيرتي في تلك الأيام .. وزادتني تصميما على دراسة الأمر بنفسي عن قرب.

طلبت من المستشفى أن أكون مسؤولة عن جميع حالات البورفوريا التي تأتي إلى المستشفى رغم وجود عدد من أطباء الدم الآخرين المتخصصين .. لكنني طلبت أن أكون مسؤولة عن هذه الحالات دون

سواها .. كان المريض يأتي إليَّ بآلام في بطنه وهو لا يدري أن لديه بورفوريا .. وعندما أكتشفها ، أتركها تنمو بداخله .. بل إنني كنت أحفزها وأزيد من سرعة تقدمها .. بمرور الوقت زادت خبرتي في التعامل مع هؤلاء المرضى .. مثلا تعلمت أن أكبل المريض إلى سريره بأغلال حديدية بينما أتابع حالته .. هل يبدو هذا شاذا؟ دعني أخبرك بأمر لم أخبرك به سابقا .. أنا رئيسة قسم أمراض الدم في المستشفى .. وكل ما أريده ينفذ حرفيا .. خاصة عندما أطلب أن أختلي بالمريض في غرفة الكشف .. أو أن أمنع أي شخص من زيارته سواء من عائلته و أصدقاءه أو حتى الممرضات .. بدعوى الحرص على عدم العدوى التي أدَّعي أنها سريعة الانتقال بشكل مرعب.

انتقلت من مرحلة دراسة الحالات إلى مرحلة الفهم الكامل .. هؤلاء المرضى يتحولون لمصاصي دماء .. بالطبع خلال تجاربي أراهم يصبحون شديدي العصبية عندما يتم تكبيلهم هكذا كالسجناء .. لكن هذه لم تكن أبدا مشكلة .. كنت دائما أحقنهم بأقوى أنواع المهدئات .. وعندما أعرف أنهم وصلوا للمرحلة النهائية من مرضهم و أصبحوا بعيدين نوعا ما عن كلمة بشر ، عندها وعندها فقط أطلقهم.

الغريب أنني لاحظت أنهم يتصرفون دائما كبشر عاديين يتحدثون ويتعاملون بشكل عادي .. والمفاجأة التي أظهرتها متابعتي الطبية الدقيقة لهم .. هي أن هناك أعصابا زائدة تنمو في أسنانهم .. وتحديدا حول منطقة الأنياب .. أعصاب من النوع اللا إرادي .. تتحكم إلى درجة ما في أنيابهم .. فهي تبرز إذا توحشوا أو إثارتهم عصبيا أو

جنسيا أو حتى تم حقنهم بمادة منشطة .. و تضمر عندما يكونون في حالتهم الطبيعية.

دائما هم يحتاجون إلى دماء .. ودائما أحقنهم بما يحتاجونه منها .. لكنني إذا حرمتهم منها يزداد توحشهم جدا .. أجدهم يحاولون إخفاء عصبيتهم في البداية كما يحاول أن يخفي أي إنسان عصبيته .. لكنهم في النهاية يتحولون لوحوش كاسرة تحتاج إلى التكبيل بمقابض من حديد .. وهم لا يقبلون بأي دماء .. بل الطازجة منها فقط .

نعم كنت أدرسهم دراسة احترافية .. ربما أدت هذه الدراسة إلى قتل بعض منهم .. و إيذاء البعض الآخر إيذاءً فادحا .. لكنني كنت قد فهمت كل التطورات العضوية التي تطرأ عليهم .. ما كنت أجهله هو بم يشعرون .. لأنني كنت أستغرب جدا أنهم يتعاملون بشكل عادي بريء جدا .. كأن في الأمر سرا ما.

الحق أنني كنت قد بدأت أهابهم و أخافهم شيئا فشيئا .. وبدأت أحلامي تتحول لكوابيس يومية مليئة بالدماء السوداء .. كل ليلة أقوم من فراشي فزعة .. بعض الكوابيس تصفني كجثة لا حيلة لها وبدلا من أن تتهشها الغربان كما هي العادة أراني تنهشني مجموعة من مصاصي الدماء .. و أحيانا أخرى أراني وكأني أسمع نداء غريبا مسموعا مثل نداء الكنيسة .. ثم أراني أتجه إلى النداء في الشارع ويتبعني مجموعة من الناس بعضهم من مرضاي .. عشت ليال كثيرة أندم فيها على ما فعلت و أقسم أن أعود استشارية عادية كما كنت .. ثم إنني ظللت أسبح في

بحر أفكاري هذا حتى استيقظت يوما شاعرة بألم رهيب في معدتي.

تحول فزعي هذا فورا إلى هيستيريا .. ذهبت إلى المستشفى كالمجنونة لأخضع نفسي للتحاليل التي أطلب من مرضاي أن يجرونها عادة .. النتائج كلها سالبة .. لكن هذا لا يعني شيئا .. النتائج لا تكون موجبة في بداية ظهور البورفوريا .. ربما في مرحلتها الثانية .. وعلى الجانب الآخر قد يكون هذا ألم معدة عاديا .. خاصة أنني فقدت شهيتي تماما في الآونة الأخيرة.

استمر ألم البطن .. و صاحبه قيء متكرر بشكل أشعرني بالضعف الشديد .. رقدت في سريري في تلك الأيام غير قادرة على الحراك إلا بصعوبة .. راج ابني كان قلقا جدا علي .. حتى أنه أعطى لنفسه إجازة من كليته ليبقى بجانبي .. كان يوصلني إلى المستشفى لأخضع للتحاليل يوميا .. النتائج سالبة .. دائما سالبة.

في الأيام التالية شعرت أنني أصبحت أكثر وعيا .. أقصد أنني صرت أكثر حساسية لكل شيء يدور حولي .. حساسيتي للأصوات زادت بشكل مزعج حتى أنني أصبحت أسمع صوت وقوف راج على عتبة باب المنزل قبل أن يفتح الباب و أنا راقدة على سريري في غرفتي وراء صوت المكيف .. حساسيتي للروائح أشعر أنها زادت كثيرا .. لكن الأهم هو حساسيتي للأضواء .. في البداية كنت أشعر بصداع عندما يكون نور الغرفة مضاء .. وفي النهار عموما .. ثم تحول الصداع إلى صداع رهيب ثم إلى ألم شديد في البشرة يشبه لسعة

الاحتراق .. في ذلك اليوم أيضا كانت نتائج التحاليل كلها سلبية .. لا أصدق .. أنا في بورفوريا لا شك فيها .. أنا أكثر من يعرف البورفوريا عند رؤيتها .. هناك شيء ما مريب .. ثم أنني أهلوس كثيرا جدا ولولا أن رباطة جأشي عالية و عقلي متفتح لكنت قد جننت منذ زمن.

لابد أن أموت .. لا أريد أن أكمل هذا السيناريو .. كل هذا السخف يجب نهاؤه .. .رأيت ابني راج دخل عليَّ مهموما .. طلبت منه بهيستيريا أن يقتلني ليريحني من كل هذا الألم .. لن يفهم أنني أتحول إلى مصاصة دماء و أنه هذا الغافل - غالبا - سيكون أول ضحية لي .. مستحيل .. هذا راج .. وهو أغلى عندي من ذاتي .. بدا راج منفعلا مع كلامي ثم أخذ في تهدئتي بحنان لم آلفه فيه .. قال لي أنني سأكون بخير و أن نتائج التحاليل سالبة ولا تشير لوجود أي مرض قاتل أو غير قاتل .. لكنني كنت أصرخ في هستيريا .. وفي النهاية أضطر أن يعطيني حقنة مهدئة رغما عني حتى رحت في النوم.

" خلقنا منذ خلقت الدماء على الأرض .. محرم علينا النور .. محرم علينا الهرم "

استيقظت من النوم .. أنظر بنصف عين إلى الغرفة من حولي .. أرى راج نائما على أحد الكراسي القريبة .. هذا الفتى عاطفي بالفعل .. جل ما أفكر فيه الآن هو الانتحار .. هذه ستكون نهاية عادلة أكفر بها عن كل حماقاتي .. أخرجت شريط دواء خافض للضغط و شرعت أخرج كل الحبوب منه .. أخرجت تنهيدة مريضة لم يسمعها سواي .. فجأة

استيقظ راج .. نظر إليَّ بهدوء .. ثم تحولت ملامحه إلى الحدة والغضب عندما عرف ما أنتويه .. أخذ مني الحبوب بغلظة ورماها جانبا .. نظرت إليه باستغراب برهة .. ثم تحول هذا الاستغراب لغضب عارم.

" مقدسة أنفاسنا .. مقدسة دماؤنا "

صحت فيه بغلظة كما كنت أصيح فيه منذ صغره وأمرته أن يتركني أفعل ما أريد .. لكنه بدأ يتعلم العند معي هذا الفتى .. أمرته بغلظة أن يوصلني للمستشفى لأخضع للتحاليل مرة أخرى .. لكن راج زاد عناده .. وأنا زادت هيستيريتي .. و إذا به يقبل عليَّ ليحتضنني و يهديء من روعتي فأخمشه بأظفاري و أضربه و أقاومه .. وهو يكبلني بحنان و يتحمل ما أفعله بصبر .. أصبحت شرسة لدرجة أنني جرحته عدة جروح في وجهه .. أمسك ابني راج بمحقن قريب بسرعة .. لكنني ضربت يده في غل ليطير المحقن بعيدا .. ثم صرخت فيه و خمشته مرة أخرى في وجهه .. لكن ما هذا؟

" نداؤنا شرف لكم .. فمنكم من يرضى الشرف .. ومنكم من يرضى العار "

إن ابني راج فد توحش عليً فجأة .. و بدت ملامحه الوسيمة كملامح نمر حبيس .. ثم احتضنني بقوة شديدة لم أعهدها فيه .. نظرت له بدهشة .. فقط لو أن عيناي المرهقتين تخدعانني .. إن ابني راج له

أنياب .. أنياب مقوسة تعتزم عنقي .. إن ابني الحبيب راج له عينان مخيفتان .. وعيناه هاتان تحمل رعبا و شراسة لا حد لهما .. انقض ابني راج علىّ .. أنستني الدهشة أنه يجب أن أقاوم لأبقى .. هذا ابني .. إن قواي تخور مني .. شيء ما تذكرته الآن بسرعة .. دائما راج هو الذي كان يخبرني بنتائج التحاليل جميعها .. ولم أكن أرى ضرورة للنظر فيها بعد كلماته الواثقة .. استسلمت له تماما .. لا أشعر بالألم .. بل بالخدر اللذيذ يسري في عروقي كلها .. أود أن أشعر بهذا الشعور طيلة حياتي .. ثم إنني أغلقت عيني بهدوء واستسلام تامين .. ثم إن راج حملني ووضعني على سريري ببطء .. وطبع على جبيني قبلة حب ورضا.

وبهذا تحولت إلى مصاصة دماء و أصبحت أنتمي إلى الجنس الفاخر المقدس .. هناك شعور بالفخامة يلف نفسي بعد هذا التحول .. وأنا أريد لكم كلكم أن تكونوا مثلي .. راقيين .. لسنا متوحشين كما تصفنا أفلامكم .. نحن أناس مقدسون .. و لا نتوحش عليكم إلا حرصنا منا على أن نضمكم إلى الجنس الفاخر .. جنسنا .. جنس الفامباير.

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية السد

يرويها : رعد - المدينة (السعودية)

" إن السد يعني أن هناك واديا .. و الوادي يعني أن هناك عائلات من الجن يتكاثرون .. فلا تذهب لأنك لن تعود "

إن الذين لا يسمعون الكلام تأتيهم الواوه لتخيفهم ليلا .. إن الذين لا يسمعون الكلام لا يكبرون .. إن الذين لا يسمعون الكلام لا تعطيهم طنط نجوى الحلوى .. إن الذين لا يسمعون الكلام لا يكونون أقوياء .. إن الذين لا يسمعون الكلام لا يتزوجون حسناوات .. إن الذين لا يسمعون الكلام يموتون .. إن الذين لا يسمعون الكلام سأقتلهم بنفسي واحدا واحدا ثم أعلق رؤوسهم على أرجلهم ليكونوا عبرة للعالم .. المشكلة أنني لم أسمع الكلام في أي مرحلة من مراحل الحياة .. ربما لأجل هذا كانت تنطبق عليَّ كل تلك التحذيرات .. وآخر مرة لم أسمع فيها الكلام كانت عند ذلك السد .. سد بطحان.

بفتح الباء و كسر الطاء .. وادي بطحان .. من البطح تعني الواسع المستوي .. بنوا عليه هذا السد الجميل ليحمي المدينة المنورة من السيول .. بل إنه لو حدثت سيول يكون المنظر عنده رائعا فيتجمع أهل المدينة ليروه .. هؤلاء لا يملكون بحيرة في مدينتهم .. فتراهم يهرعون إلى البحيرة فور تكونها عند السد أثناء السيول.

كنا ستة أسماء لن تعني لك شيئا لو ذكرتها .. يمكن اختصارها في شرف - ياسين - ربيع - علاء - أنا - أخي محمود .. شرف مصري حذق .. تعرف المصري الحذق لما تراه .. ربيع مصري طيب تلك الطيبة التي لا تصدق وجودها مالم ترها .. علاء فتى نحيل من طراز طلاب الثانوية العامة المصريين النحيلين .. ياسين سعودي يختصر في

كلمة واحدة .. جنتل مان.

إجازة أظنها في منتصف العام إن لم تكن في آخره .. فراغ شبابي تام .. لاحظ أننا في السعودية .. الحياة نفسها ترتدي عباءة سوداء وتجلس في منزلها .. ليتك في جدة مثلا .. أنت في المدينة حيث لا شيء على الإطلاق .. أقصى أمر مثير تفعله هو الجلوس على المقهى في شارعكم و الثرثرة التي غالبا ما تكون شكوى.

وأنا شخص أبحث عن الإثارة بشراهة .. لو تركتني وحدي في كهف مظلم وتتوقع أن يصيبني الملل ستفتح عليَّ الباب لتجدني أحفر بحثا عن ديدان الأرض أو العقارب أو الثعابين .. أو بدأت في تحضير الشياطين بطرقي الخاصة .. ولما كانت الإثارة لا تجدك في السعودية فمن الأفضل أن تجدها بنفسك .. وهكذا اتخذت سلسلة من القرارات .. قرارات مخيفة.

قررت الخروج في رحلة لمكان مرعب .. هناك الكثير من الـ Hot Spotsفي المدينة لو أردت رأيي .. قلعة قباء .. قلعة بناها الرماة الأتراك وهي مهجورة منذ مئات السنين .. ومليئة بالأفاعي و الجان حسب كلام المتكلمين .. مستشفى المجانين القديمة وهو مبنى مهجور منذ سنوات طوال .. ستكون عفاريت رائعة تلك التي تهيم هناك .. وادي الجن في منتزه البيضاء البري حيث تجد كل المتنزهين البريين يتحاشونه لأن الجن يتنزهون فيه .. هناك أماكن عظيمه تنتظر منك قص الشريط فقط.

تحدثت مع الأسماء التي ذكرتها لك و كانت محاولة إقناعهم رحلة شاقة بغض النظر عن الرحلة التي ننوي القيام بها .. لكنهم في النهاية اقتنعوا .. وجهتنا كانت سد بطحان .. سد طويل يقطع واديا ضخما مظلما .. بوابة السد ليست مغلقة .. يمكنك فتحها و المشي فوق السد ما يقرب من الكيلو متر وسط السواد فوق الوادي المظلم .. كان مكانا رائعا جدا .. وها نحن قد ركبنا سيارتنا و توجهنا ناحيته.

أخي محمود كان يريد قتلنا ليريح ضميره .. كان يعتبر أننا مجموعة من الحمقى ذاهبون في رحلة مدرسية للمشي فوق جسر .. ظانين أنهم في فيلم رعب .. ولو أن هناك فيلم رعب قصته هكذا ستمنعه الرقابة حفاظا على شاشة السينما من فتك المتفرجين .. كان يحاول إقناعنا طوال الطريق أن نغير وجهتنا إلى مطعم أو نادي بلياردو أو بولينج أو أي شيء مفيد .. لكنهم كانوا قد تحمسوا للفكرة و لتنفيذها أكثر من تحمسي أنا نفسي .. نظرت إليهم نظرات عابرة على طراز " رائع - حمقى - لدرجة أنهم استجابوا لكلامي " أتتني لحظة سعادة أنني تمكنت في التأثير في كل هذه العقول لا تلبث أن تحولت للحظة قلق .. لو حدث لهم شيء .. سيبدو أنني الشيطان الأعظم .. ربما أنا كذلك من يدري.

وصلت السيارة إلى السد .. كانت هناك بوابة مغلقة .. هذه البوابة موضوعة بين عمودين قصيرين .. يعني أنها ليست موضوعة في سور يمنعك من الدخول للسد .. يمكنك ببساطة المرور بجانب أحد العمودين و المشي فوق السد .. ظللت أفكر في معنى هذه البوابة لحظات ثم

قررت أن أتقدم المجموعة لأشعرهم أنني القائد الأعلى لهذه المهمة الشيطانية .. شعور رائع أن تكون شريرا .. ليتني أستطيع أن أضحك ضحكة أبو الغضب .. لابد أنه كان يشعر بروعة شيطانية لا شك فيها.

رفض أخي محمود النزول من السيارة .. ووضع سماعات الجوال في أذنه و أخذ يهز رأسه بمعنى " حمقى - اذهبوا و موتوا و لا تعودوا " .. حاولت إقناعه لكنه استمر في هز رأسه بنفس الطريقة .. في النهاية استسلمت و تحركت و تحرك أربعة أشخاص ورائي.

كانوا يعتبرون الموضوع نزهة ظريفة .. كل واحد يتحدث مع صاحبه في أمور الدنيا الفانية و يمشون و أنا أتقدمهم .. كنت أقول في نفسي أقوال مثل " بلهاء - إن أفلام الرعب دائما تبدأ بمجموعة ضاحكة مثل هذه تزور مكانا مخيفا " بصراحة كان السد جميلا .. و مبنيا بأسلوب جميل و يبدو أن الحكومة تعتني به جيدا .. كنت أتطلع إلى الوادي المظلم بالأسفل و إلى النجوم بالأعلى .. منظر رائع حقا ينقصه أشباح تهيم هنا وهناك و غربان لتكتمل روعته .. لكن يبدو أن هذا كان الهدوء الذي يسبق العاصفة.

جاءتنا العاصفة على هيئة كلب .. بدا لنا من بعيد على جبل متصل بالسد .. كان ينبح بغضب .. ذلك النباح الذي تستخدمه الكلاب فتشعر أنها تشتمك بكراهية .. توقفنا كلنا مرة واحدة .. كان الكلب نحيلا أسودا ذو ذيل مقطوع .. كان يتحرك يمينا و شملا و ينبح في غضب .. ماذا يريد هذا الأحمق بالضبط؟ تحول هذا الكلب إلى اثنين .. و الاثنين إلى

خمسة .. و الخمسة إلى عشرة .. و العشرة إلى ثلاثين .. ينبحون لتشعر أنهم اعتبروها حربا بيولوجية ضد بني الإنسان و إما النصر و إما الشهادة.

استدرنا جميعا و مشينا بخطوات سريعة جدا أقرب إلى الركض ناحية السيارة .. وبدأت مجموعة في الكلاب في التحرك ناحيتنا بخطوات متوسطة السرعة .. قابلنا محمود في السيارة يضحك بكل جزء في فمه حتى لسانه .. ركبت السيارة بسرعة و أدرتها و ركب الكل قفزا فوق بعضهم و تحركنا حتى قبل أن نغلق كل الأبواب.

في الطريق إلى المنزل كان الكل غاضبا .. ليس كما ظننت أنهم غاضبون من فكرتي الغبية التي كادت أن تودي بحياتهم جميعا بين أسنان مجموعة من الكلاب .. بل كانوا غاضبين من الكلاب .. و مصرين على أن يعودوا ثانية إلى السد .. لكن هذه المرة يكونون مجهزين بالحجارة .. لم أعلق .. استدرت بالسيارة في هدوء إلى السد مرة أخرى .. يا إلهي .. لم أعرف أن تأثيري مخيف هكذا .. لقد اعتبروها حربا بيولوجية بدورهم .. يبدو أنها ستكون ليلة دامية.

طبعا رفض محمود النزول .. الكل كان يقنعه بالدخول في تلك الحرب .. لم أعلق و أخذت أنظر للكل نظرة غريبة .. هؤلاء البشر غريبي الأطوار .. لماذا يمشون بهذه الحماسة نحو فكرة بهذه الحماقة؟ عموما تقدمت الجمع كالعادة و أخذنا نجمع أحجارا من الأرض و نعبيء جيوبنا .. نظرت للكل نظرة مشفقة .. هؤلاء الأغبياء يمكن أن يموتوا

اليوم في هذه المعركة ببساطة .. إن عدد الكلاب الغاضبة رهيب .. لكني قتلت هذه الصحوة في نفسي و استمريت في جمع الأحجار .. إحساس أن تكون شريرا يفوق روعة اي أحاسيس بشرية أخرى .. ولن تصدقوني مالم تشعروا به يوما.

بدأنا نتقدم بحذر فوق السد شاخصين ببصرنا إلى الأمام مرهفين أسماعنا .. ظللنا نتحرك حتى اقتربنا من ذلك المرتفع الذي ظهرت فوقه الكلاب في المرة السابقة .. بدأت خطواتنا تكون أكثر بطئا .. شيئا فشيئا بدأنا نصل إلى المرتفع .. أتوقع أن يظهر ألف كلب الآن و أن تكون المعركة دامية لدرجة أن يقع بعضنا من فوق السد ليتحطم عنقه في الوادي.

صعدنا فوق ذلك المرتفع .. من هنا يتخذ السد مسارا آخر .. كان المرتفع هادئا تماما .. ليست عليه حياة من أي نوع .. حقا كان الأمر غريبا .. يبدو أن الكلاب قررت تركنا نتقدم في السد قليلا حتى منتصفه ثم يهجمون .. بحيث نكون بعيدا عن أي شوارع .. ونموت و لا يشعر بنا أحد .. قرأت أن الكلاب وفية لكن هل هي ذكية؟ لست خبيرا في عالم الحيوان.

تحركنا بخطوات أسرع على السد .. لم يبد أنه كانت هناك أية كلاب .. عبثا حاولت العثور على تفسير لما رأيناه .. ربما هم جن مثلا .. لكن لو أنهم جن يحرسون هذا الوادي و طردونا في المرة الأولى .. لماذا انسحبوا الآن؟ ربما هو فقط "شغل عفاريت" كما يقول المصريين.

وصلنا إلى نهاية السد .. لاشيء إطلاقا .. هدوء تام .. وهنا استدرنا و مشينا عائدين .. وفجأة ارتفع صوت جرس جوالي .. إنه محمود يتصل .. فتحت الخط بدون أن أقول أي شيء .. فقط أستمع إلى ما يمكن أن يكون يتصل بشأنه .. قال لي .. بسرعة تعالوا أرجوكم .. الكلاب تحيط بالسيارة.

هنا أصبحت خطواتنا سريعة جدا .. تلك الكلاب الجائعة فضلت الحصول على وجبة طازجة بدلا من تصديع رؤوسها بالحرب البيولوجية .. تحولت خطواتنا السريعة إلى ركض .. ثم إلى ركض سريع .. حتى بدت لنا السيارة من بعيد و الكلاب تحيط بها في بشاعة .. لم تكن تنبح .. كانت فقط تدور حول السيارة و تلتصق بها و ترتفع على قائمين للنظر بداخلها .. يبدو أن محمود المسكين بلل الكرسي الآن.

أصابتني حالة من الغضب دفعتني للركض بقوة ناحيتهم .. و أخذت أرمي حجارة كالمجنون ناحية السيارة .. قال لي شرف في عصبية :
- أيها الغبي ستكسر زجاج السيارة و سيصلون إليه

تنبهت إلى غبائي .. وانتبهت لنا الكلاب .. استدار بعضها لنا و أخذوا ينبحون بغضب .. ثم تحركت بعضها ناحيتنا بسرعة .. كانوا يركضون .. تعرف الكلاب عندما تركض نحوك بشراهة .. أخذنا نرمي بالحجارة بكل قوتنا ناحيتهم بحيث لا تصل الحجارة للسيارة .. لكن يبدو أن الكلاب كلها قد استدارات و تحركت ناحيتنا الآن .. بل ركضت ناحيتنا

بغضب رهيب .. أنهيت كل الحجارة التي كانت معي و كذلك معظمنا .. ولا توجد حجارة فوق السد النظيف الذي تعتني به الحكومة جيدا .. نظرنا إلى الوادي بالأسفل .. هل يمكننا النزول للوادي؟ كانت هناك جهة من جهات السد فيها جدران السد مائلة .. و هذه مستحيل أن ننزل عليها لأن ميلانها حاد جدا .. والجهة الأخرى فيها جدران أيضا لكن فيها جزء جبلي يمكننا النزول عليه.

وبدون مزيد من التفكير قفزنا على ذلك الجزء الجبلي .. وبدأنا ننزل بحذر في البداية .. لكنني كالأحمق كانت لدي بعض المهارة في نزول الجبال فاستغللتها بأن أخذت أنزل على الجبل و كأنني أتزحلق على الجليد .. المشكلة أن علاء طالب الثانوية العامة النحيل إياه بدأ يقلدني .. لكن الأحمق لما نزل بهذه الطريقة لم يستطع السيطرة على نفسه .. لا أقصد أنه وقع .. لكن قصدت أنه لم يستطع التحكم في سرعته .. سرعته أصبحت كبيرة جدا في النزول حتى أن قدميه كفتا عن التزحلق و بدأتا في الجري .. الجري بسرعة شديدة جدا فوق ذلك الجزء الجبلي المائل .. وطبعا فقد توازنه في النهاية.

شاهدته يطير ثم يسقط على أم رأسه ثم يتشقلب و يطير و يسقط فوق رأسه مرة أخرى ثم يهمد في مكانه تماما .. لقد قلت أنها ستكون ليلة دامية .. ويبدو أن علاء هو أول الموتى .. شعرت بغصة كبيرة في حلقي .. أخذت الغصة تتفرع و تتفرع من الفروع فروع داخل حلقي .. نزلت إلى علاء شاعرا بالغصة قد خرجت من حلقي وأخذت تتفرع فروعا للخارج.

لكن علاء قام من الأرض و أخذ يتحسس رأسه في غباء .. كان كشخص ضُرب على رأسه وهو الآن يفيق من غيبوبته متسائلا ببراءة عما حل به .. كان واضحا أنه بخير بغض النظر عن النظرة الزائغة التي ينظر بها لي .. تحسست رأسه .. لا توجد حتى دماء .. إن الله قد لطف به حقا هذا المجنون .. ولست أدري كيف كان الكل بخير .. أصبحنا الآن أسفل الوادي المظلم .. نظرنا إلى أعلى السد .. الكلاب تنبح و تركض يمينا و شمالا في جنون ثم تنبح.

أخرجت جوالي سريعا .. اتصلت بمحمود .. سمعت تلك النغمة المريضة التي تعلن أن جوالي شارف على الموت .. تمنيت فقط أن يظل الجوال حيا حتى أتصل بمحمود .. رد محمود بعصبية :

- أين أنتم؟ هل أنتم بخير؟ رعد .. تعالوا هيا لا يوجد كلاب هنا.

أعرف هذا الطراز من البشر الذي يسألك أسئلة و يجيب على نفسه و يمضي في الكلام على أساس هذه الإجابات .. قلت له :

- نحن هربنا من الكلاب ونزلنا للوادي الآن .. كلنا بخير .. سنبحث عن طريقة للصعود لك .. ابق حيث أنت .. لا تخرج من السيارة و إلا قتلتك قبل أن تقتلك الكلاب.

كان ربيع في حال بائسة جدا .. ولا يكف يلعن أفكارنا الحمقاء التي أتت به إلى هنا وهو الذي كان يحلم بليلة مريحة في سريره أمام الأنمي

الرائع الذي يحبه مع كوب من الشاي و المكسرات .. ياسين كان متحمسا لكنه فقط متضايق لأن ثوبه أصابه الكثير من الغبار .. شرف كان يحاول البحث عن شيء ما يمكننا الصعود عليه إلى السيارة بدون أن تشعر بنا الكلاب المحمومة بالأعلى .. بينما كنت أنا مع علاء أطمئنه و أطمئن عليه .. لكن العاصفة عادت و هبت علينا مرة أخرى .. وكانت هذه المرة أشد قسوة.

شق الوادي صوت نباح غليظ جدا .. ثم أصبح نباحين فثلاثة فأكثر .. الظلام دامس لا يمكنك أن ترى شيئا .. إن أصل الرعب هو الخوف من المجهول .. شيء لا تراه لكنك تعلم أنه قادم لقص رأسك .. شيء بشع .. و ها أنت تسمع نباحه .. والحق يقال أن نباح الكلاب التي هاجمتنا أعلى السد يعتبر موسيقى بالنسبة لهذا .. وهنا أصابتنا جميعا حالة من الذعر .. إنه الموت يا رفاق .. الموت بين أسنان كلاب مسعورة .. في واد مظلم.

فجأة ظهرت الكلاب .. كانوا أربعة كلاب ضخمة بشعة الخلقة غاضبة جدا .. وقفوا قريبا منا و أخذوا ينبحون بذلك الصوت المرعب .. ثم يتحول النباح لصوت مكتوم يعبر عن الغيظ الشديد .. لا أعرف لماذا تكون الكلاب دائما غاضبة هكذا .. ولا أدري أصلا كيف يحب شخص ما الكلاب و يربيها .. دعك من نجاستها و أنيابها و صوتها الذي يأبى إلا أن يكون دائما غاضب .. وشكلها الغاضب الأقرب للشياطين .. كيف يحب الناس هذه الكائنات؟ أحببتها أو لم أحبها .. يبدو أن نهايتي ستكون بين أنيابها في النهاية .. لست أنا فقط .. بل أنا و أعز أصدقائي كذلك.

إن عضة الكلب قذرة جدا .. كنت أعرف أن من يحب التدخين تكون نهايته بأمراض تتعلق بالصدر أو القلب .. من يحب السرعة تكون نهايته في حادث سيارة و من يحب المغامرات الغبية تكون نهايته في مغامرة غبية .. لم نتحمل أكثر .. استدرنا جميعا و أطلقنا سيقاننا للريح .. ولم تكذب الكلاب الضخمة خبرا فانطلقت وراءنا على الفور.

لما يجري الكلب وراءك يمكنك أن تسمع ثلاثة أصوات مرعبة في آن واحد .. صوت أقدامه التي تركض بسرعة على الأرض .. صوت لهاثه أثناء ركضه .. و صوت نباحه .. لكنني سمعت فجأة صوتا آخر لا دخل له بكل هذا .. صوت طلقة نارية أضاف لها الوادي صدى رهيبا .. ثم طلقة أخرى .. لم ندر أين ننظر لكن الكلاب توقفت و بدأت تجري في اتجاهات مختلفة .. طلقة ثالثة .. أنين كلب .. طلقة رابعة .. صوت كلاب تركض مبتعدة بأقصى سرعة .. طلقة خامسة .. وسادسة.

- يا محمد .. محمد .. يا محمد ..

صوت رجل من أهل باكستان .. نظرنا لمصدر الصوت لنجد رجلا مشعث يرتدي فانيلة بيضاء و يمسك بندقية و ينزل على سلالم مصنوعة لتنزل بها إلى الوادي و تصعد بكل سهولة .. أين كانت هذه السلالم اللعينة لما احتجناها؟ ثم رأينا وراءه محمود يلوح .. كان هذا أمين السد أو المسؤول عن السد أو رجل السد .. هناك شخص ما له هذه الصفة دائما في السدود .. أنت تفهم قصدي بالطبع.

كان الرجل غاضبا جدا .. قال أشياء كثيرة عن حماقتنا و عن الكلاب التي استعمرت هذا المكان منذ زمن و عن حماقنا .. وعن أنها المرة الأولى التي يرى فيها أشخاصا بجنوننا .. كل زوار السد يفرشون بجانب البوابة و يجلسون .. ثم تحدث عن حماقتنا .. وعن المطر الذي لم ينزل منذ سبعة أشهر حتى جف الوادي تماما .. وعن حماقتنا .. هذا الرجل ثرثار جدا .. من أشد الأشياء على نفسي أهل باكستنان لما يكونوا ثرثارين .. وأنت مضطر لسماع كل كلمة يقولها بابتسامة واسعة لأنه أنقذ حياتك.

لم تكن هذه آخر زياراتنا لهذا السد .. فأنا و ربيع و شرف مثلا ربما نذهب لزيارته من آن لآخر .. الغريب أننا نمشي فوقه حتى نهايته و نعود بدون أن نرى أي كلب أو نسمع أي نباح .. حتى أنه أصبح متنزها لنا نقصده كلما شعرنا بالملل .. ودائما لما نمشي فوقه نتذكر ذلك اليوم الكارثة .. لكن لا نجد أثرا لأي كلب أو لأي مخلوق آخر وكأنهم كلهم كانوا وهما قاسيا .. ربما كانوا شياطين .. فهم حقيقة لم يمسونا بأي أذى حسي .. إنما جعلونا نهرب منهم حتى كدنا نموت رعبا .. أو ربما جاءت الحكومة التي تعتني بالسد جيدا و قتلتهم كلهم بعد أن بلغهم ذلك الحارس الباكستاني الثرثارعن حادثتنا .. لن تدري أين الحقيقة أبدا.

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية تحضير الأرواح

(قصة حقيقية)

يرويها : أحمد أرونتشي - اسطنبول (تركيا)

" كثيرون حاولوا تحضيرها ونجحوا .. فلماذا سأفشل أنا؟ "

الاسم : كيكو جابات

النطق : تنطق كيكو و كأنك تقول كلمة Cake لكنك تنطق في نهايتها حرف O
السن : ٣٣ عاما
الحالة الاجتماعية : ميت
المكان : اسطنبول
المهنة : جني
الديانة : كافر
ماعلاقتنا نحن بكل هذا : مجرد مقدمة سخيفة لابد منها

كنا أربعة مراهقين .. أنا (١٧ سنة ومخبول تماما وأدعى أحمد) .. أختي (١٦ سنوات بريئة جدا وتدعى سارة) .. ابن خالتي (هشام ١٦ سنة ويبدو متحمسا) .. ابنة خالتي (نورهان ١٧ سنة من الطراز الرقيق من الفتيات) .. كنا في تركيا ، في اسطنبول تحديدا حيث تلتقي أوروبا وآسيا معا لقاء عاشقين متيمين.

كنا شلة لا هم لها سوى الألعاب المؤذية منذ بداية اليوم وحتى نهايته .. وعندما يأتي المساء ننام كأفراس النهر منتظرين يوما جديدا نلعب فيه .. كل يوم هو مغامرة جديدة .. مرة نتسلل لحديقة تلك الفيلا لنسرق ثمار التوت اللذيذة .. ومرة نحاول الإمساك بهذا القط التعس الذي ألقاه

حظه في طريقنا .. مرة ننظم المقالب للمارة في الشارع لنضحك قليلا .. لكن في هذا الصيف كانت أمامنا مغامرة أخرى .. مغامرة مع كيكو.

في ذات ليلة من ليالي اسطنبول الساحرة جلسنا نتحدث .. أحاديث مملة من أحاديث المراهقين التي لايمكن أبدا أن تنتهي حين قالت نورهان :

- أنا سأذهب غدا عند بتول .. هل ستأتي معي ياسارة؟

- طبعا سآتي

قلت أنا :

- ومن بتول هذه؟

- إنها صديقتي الجديدة

قال هشام مشمئزا :

-لا أحب هذه الفتاة .. إنها سمجة ولا تحب تاركان - وتاركان هذا هو مغني تركي شهير جدا -

قالت نورهان :

- بتول قالت أنها سترينا شيئا مرعبا جدا في بيتها .. قالت أننا سنحضر كيكو معا

- كيكو ؟

- إنه قاتل مأجور كان يعيش في اسطنبول قديما .. يقولون أنه انتحر حزنا على أمه التي قتلها أحدهم
- ومامعنى أنكم ستُحضِّرون كيكو؟
- سنحضِّر روحه .. سنكلمه ونحاول أن نصادقه

قلت لها بسرعة :
- أريد أن آتي معكما أنا وهشام

قال هشام مشمئزا ثانية :
- لا أحب هذه الفتاة يا أحمد .. إنها كاذبة كبيرة ولاتحب تاركان
- أنا لا أهتم .. يجب أن أذهب معكما .. إذا أردت البقاء هنا فابق .. لكني سأذهب

وافقت نورهان .. ووافق هشام أن يأتي معنا بعد أن خشي أن يبدو بمظهر الجبان الوحيد .. وافق التعس أن يزور بتول.

في الصباح التالي كنا نقف أمام فيلا بتول - التي كانت تعيش في فيلا فخمة جدا في منطقتنا - وقفنا نضغط الجرس عدة مرات حتى خرج لنا أخوها - كان اسمه علي - وكنت أعرفه ، لأنه هو فتوة المنطقة بأكملها بسبب عصبيته وضخامة جسده وقوته .. لم يبد سعيدا برؤيتنا إطلاقا - وعلي هذا لم أره في حياتي مبتسما أبدا -

قال لنا بعنف :
- ماذا تريدون؟
- بتول
- ليست هنا

قالت نورهان بتحدي :
- أنت كاذب كبير
- هل تجرؤين على إهانتي أيتها الضعيفة؟ لن أحتاج لأكثر من ضربة واحدة حتى أزيلك تماما من تركيا بأكملها

قال هشام :
- علي .. دعك من نورهان .. نعرف أن بتول هنا لأنها دعتنا بنفسها في التليفون الآن .. فهلا ناديتها؟

عندئذ سمعنا صوتا أنثويا باردا كصخور الجرانيت ينبعث من سماعة (الإنتركم) قائلا :
- نورهان .. هل أتيت؟ ماذا يؤخرك؟
- إن علي يضايقني

تحول علي لفأر مذعور وقال :
- لا تصدقيها يا بتول أنا لم أقترب منها .. إنها تكذب

هنا تعجبت .. لماذا يخاف هذا المأفون من أخته هكذا؟ المفترض أنه فتوة .. هل هي أضخم منه؟ ربما .. سنرى كل شيء بعد لحظات.

دخلنا إلى الفيلا الأنيقة .. لم نستطع منع أنفسنا من النظر والانبهار بحجم هذه الفيلا وفخامتها من الداخل .. كانت قصرا حقيقيا .. أخذنا نتطلع في كل ركن كالبلهاء حتى أتت لنا بتول .. وهنا رأيتها لأول مرة .. لم أر في حياتي فتاة بمثل هذا الجمال القاسي .. شعر ذهبي ناعم قصير نوعا .. شفتان رفيعتان توحيان بالقسوة .. عينان خضراوتان لا تستطيع النظر فيهما مباشرة مهما حاولت .. كنت أنظر لها إلى حد لم أسمعها وهي تحييني وتسألني من أنا .. لكنني أفقت فجأة قائلا :
-آآآ أنا أخو .. أقصد ابن خالة نورهان

نظرت في عيني مباشرة وقالت :
- هل أتيت لترى كيكو؟

هنا حاولت التظاهر بالشجاعة وخرج صوتي ضعيفا مثيرا للشفقة :
- لا أنا لا أخاف من أي شيء أبدا

ضحكت كالأفعي ثم دعتنا لنصعد إلى الدور الثاني ..

همس لي هشام :
- مابك؟ إنها المرة الأولى التي أراك فيها مرتبكا هكذا
- لست أدري .. هذه الفتاة
- ماذا بها .. أنا أراها عادية جدا
- لا .. إنها مخيفة.. هل رأيت في حياتك فتاة مخيفة؟
- أحمد .. اخرس إنها تنظر إلينا

كانت بتول تنظر لنا بثبات .. ونظرت في عيني طويلا ثم دعتنا للجلوس على مائدة سفرة جميلة .. واعتذرت أنها ستذهب لتحضر (الأدوات) اللازمة .. ولم تنس أن تنظر إليَّ نظرة عجيبة قبل أن تستدير وتذهب لحالها

قالت سارة :
- أين ذهبت؟

قالت نورهان :
- لقد ذهبت لتحضر الشموع والسكاكين والتفاحة .. كل هذا ضروري في التجربة.

سكاكين؟ تفاحة؟ ما هذا الغباء؟ هل هذه هي الأدوات؟ وإذا لم تكن هي الأدوات .. فهل سنأكل جميعا تفاحة واحدة؟ بدأت أشعر بسخف الأمر كله .. لكن لم يكن بيدي سوى الانتظار.

جاءت بتول أخيرا وهي تحمل طبقا فاخرا عليه خمسة سكاكين من نوع سكاكين الفنادق التي لاتصلح لتقطيع أي شيء .. وكانت هناك تفاحة حمراء جميلة المنظر .. كانت بتول تبتسم قائلة :
-هل تأخرت عليكم .. هل افتتقدتموني؟

كانت ساحرة .. كأنها التعريف المختصر لكلمة (سحر) .. جلست بتول بأناقة كما تفعل الأميرات .. وبدأت تتكلم بصوتها البارد :
- إذا كان أحدكم خائفا من الآن .. فيستحسن أن يذهب .. الفرصة أمامكم لأنه لن يستطيع أحدكم الهرب عندما يأتي كيكو.

بدأ الأمر يتخذ نغمة مخيفة .. كنت أعرف أن الأمر كله مجرد هراء .. فأنا لا أصدق قصص الأشباح ولا كل هذه الحماقات .. لكن بتول أكملت :
- سنشعل هذه الشموع السبعة ونطفيء النور ونغلق الستائر السميكة والنوافذ حتى نمنع أي نسمة هواء .. سنضع التفاحة في منتصف الشموع .. وكل واحد منا سيضع سكينا من هذه السكاكين أمامه .. ثم سأبدأ أنا بالتحضير في هذا الظلام على ضوء الشموع السبعة .. غير مسموح لأي واحد بالنظر حوله أبدا .. سنركز أنظارنا على الشموع ..

إذا قيلَ كيكو حضوركم وارتاح لكم سيحضر فورا .. وستكون علامة هذا أن تنطفيء ستة من الشموع السبعة دفعة واحدة .. وتبقى شمعة واحدة مشتعلة .. ثم سيختار كيكو واحدا منا أو أكثر ليخرج خارج الغرفة .. لن يبقى هنا إلا من يعجب كيكو فقط .. وسنعرف من هو المختار ليخرج بأن تتحرك السكينة التي أمامه وتذهب لتأخذ مكانها بجوار التفاحة هناك .. هل فهمتم؟ ممنوع الكلام نهائيا والالتفات كذلك .. وكل من يخالف هذا سيموت ميتة شنيعة .. هل نبدأ؟

كانت بتول مخيفة .. مرعبة .. لها صوت مخدر يجعلك لاتسأم من كلامها أبدا .. قامت بتول وأغلقت نوافذ الحجرة جيدا .. وأغلقت الستائر الحمراء السميكة جدا .. ثم اتجهت إلى زر النور وأغلقته .. هنا أصبحت الغرفة مظلمة كقلب كافر .. رأيتها في الظلام تتحرك وتشعل عود ثقاب وتضيء أول شمعة .. ثم استمرت في إضاءة الشموع حتى وصلت للشمعة الأخيرة .. كانت تبتسم بتلذذ غريب .. نظرتُ إلى سارة أختي على ضوء الشموع فرأيتها خائفة .. يالهذه المسكينة .. مالذي جاء بها معنا؟ نورهان كذلك كانت قلقة .. نظرت لهشام فرأيته ينظر لي .. ترى هل يفكر في مغادرة المكان؟ جلست بتول كأميرة من أميرات العصر السيليولوزي ورأيتها على ضوء الشموع .. كانت شريرة .. شعرت بهذا .. لكني كنت أعرف أن كل هذا هراء في هراء .. فلم أخف إلى هذا الحد.

هنا أغمضت بتول عينيها الجميلتين وأخذت تتكلم بصوت هو للهمس أقرب .. كانت تكلم هذا الكيكو .. قالت له أشياء عديدة عن مجموعة المراهقين اللطفاء الذين أتوا إلى هنا بكامل إرادتهم .. وعن روحه الملولة المعذبة التي أتى لها من سيسليها أخيرا .. إذن فنحن هنا من أجل تسلية ذلك المغرور كيكو .. نحن مضحكي الملك إذن .. ثم بدأ كلام بتول يتحول إلى الألغاز .. قالت كلاما كثيرة بلغة غير مفهومة .. ثم سكتت أخيرا وانتظرت.

دقيقة كاملة من الصمت المطبق تلتها دقيقة أخرى من الصمت المرعب .. لا أستطيع الالتفات خوفا من غضب بتول - وليس كيكو - لم يحدث شيء .. ظهرت على شفتيَّ ابتسامة انتصار متشف .. يبدو أن الأمر كله مزيف .. كنت أعلم أن الأمر كله سخافة فتاة قررت تمضية وقت فراغها بالتسلية على هؤلاء الحمقي الذين هبطوا عليها من السماء .. ثم تكلمت بتول مرة أخرى .. كان صوتها هذه المرة مختلفا .. لم يكن همسا .. لقد اتخذ طابع الحدة .. قالت أشياء كثيرة عن أننا مستعدون للحديث معه في أي شيء يريده ومستعدون لتنفيذ جميع طلباته إذا أتى .. ثم بدأ صوتها يعلو احتجاجا عليه أنه لا يعيرها أدنى اهتمام .. ثم يعلو أكثر حتى تحول إلى صراخ هيستيري .. قالت له عدة مرات :
- كيكو .. ألم تفهم بعد؟ إن هؤلاء المراهقين الذين أتيت لك بهم هم أنفسهم الذين قتلوا أمك .. وهنا انطفأت الشموع السبعة دفعة واحدة وسمعنا صرخة.

كانت صرخة نورهان .. التي ما إن رأت الشموع تنطفيء حتى انفجر فتيل صبرها .. ثم قامت نورهان وسارة من مكانيهما .. وهربتا .. ورأيت هشام يقوم بسرعة .. فقمت أنا الآخر .. وولينا جميعا هاربين .. تاركين بتول وحدها .. جرينا وجرينا .. نزلنا السلم إلى الدور الأول .. واتجهنا إلى الباب .. فتحناه .. وهربنا إلى الشارع .. كنا نجري بأقصى سرعة .. كنت مرعوبا في الحقيقة .. لست أدري كيف انطفأت تلك الشموع دفعة واحدة هكذا .. لابد أن تلك الفتاة شيطانة .. وأخيرا وصلنا إلى باب شقتنا .. ووقفنا أمامها نلهث ونسترد أنفاسنا.

وقفنا أمام بابنا ننظر إلى بعضنا في صمت .. وهنا تكلم هشام :

- لماذا صرخت يا نورهان؟

- ألم تر مارأيت أيها الأحمق .. لقد انطفأت الشموع كلها

- إن كيكو يمكن أن يقتلنا الآن

قلت مؤيدا كلامه :

- لقد قالت له أننا نحن الذين قتلنا أمه .. ثم هربنا نحن .. إذا كان حقا كيكو هذا حقيقي .. فسيعني هذا أننا نعيش اليوم آخر أيامنا

قالت سارة :

- لقد قالت أن ستة من الشموع ستنطفيء لو أتى .. لكن الشموع السبعة انطفأت كلها .. ربما يعني هذا أنه غاضب جدا.

صمت الجميع ولم يعلقوا على كلامي .. لكني كنت خائفا جدا .. مضى اليوم كله بدون مشاكل .. لكننا أمضينا ليلة أسوأ من حظ بطوط.

وحين جاء اليوم التالي قالت لنا نورهان :
- يجب أن نذهب لبتول مرة أخرى ونفهم منها لم قالت ما قالته.
وافقتها .. لكن هشام وسارة أبيا أن يأتيا معنا .. وهكذا ذهبت أنا ونورهان ووقفنا أمام الفيلا الفخمة .. وضغطنا زر الجرس .. في هذه المرة فتحت لنا بتول بنفسها .. نظرت لنا بقسوة وقالت :
- أين ذهبتم أمس؟ لقد أغضبتم كيكو أيها الأغبياء عديمي النفع

قالت نورهان بغضب :
- أنت هي الغبية يا بتول .. كيف تقولين له ماقلتيه وأنت تعلمين أننا ليس لنا دخل بأمه أو بسواها
- كان يجب أن أجعله يحضربأي طريقة

قلت لها :
- وهل حضر أمس؟

قالت بتول :
- نعم .. ولم أستطع أن أفسر موقفي أمامه بعد هروبكم كالجبناء .. ظننت أنك رجل .. لكنك أنت وابن خالتك أثبتتم لي عكس ذلك .. ليس هناك فرق كبير بينكم وبين الفتيات.

ياللإهانة .. هذه الفتاة تهينني .. وبتفكير مراهق في السابعة عشرة فكرت .. أنا لست رجلا؟ فغضبت واتجهت نحوها وضربتها على وجهها أعنف ضربة استطعت أن أخرجها .. نظرت لي بغل .. إنها تكرهني .. عندها استدرت ومشيت خارج فناء الفيلا .. نادت عليَّ نورهان ولحقتني .. ومشت معي خارجا .. قالت لي بغضب :
-هل أنت غبي؟ كيف تضرب صديقتي أيها الأحمق .

وأمسكت بملابسي وقالت :
- من تظن نفسك؟ أنت كما قالت هي عنك تماما.

نظرت لها نظرة مخيفة .. لا أستطيع ضرب نورهان .. أعطيتها ظهري وانصرفت في صمت

عندما جلست مع هشام بعدها في نفس الليلة قال لي كلاما كثيرا عن علي - شقيق بتول - وكيف أنه قوي جدا .. وأنني حكمت على نفسي بالإعدام حينما ضربت أخته التي لم يجرؤ أحد قبلي على الاقتراب منها .. إذن فقد أغضبت كيكو .. وأغضبت علي .. وأغضبت بتول .. يالي

من تعس.

الاسم : على أروتشي
السن : ١٦ سنة
الحالة الاجتماعية : مراهق
المكان : اسطنبول
المهنة : فتوة
الديانة : مسلم
ماعلاقتنا نحن بكل هذا : أنني سيتحطم عنقي بعد قليل

في اليوم التالي كنت أركب دراجة هشام وألهو بها قليلا في سباق مع ولد لم أعرف اسمه إلى الآن .. كانت هناك فتيات كثيرات يلعبن بجانبنا .. وأولاد يجلسون في مكان قريب يتحدثون في أمر ما بحماسة .. ثم رأيت بتول تأتي من بعيد .. وخلفها علي .. كانت تشير إليَّ قائلة له شيئا ما لابد أنه - حطم وجه هذا الفتى لأنه تجرأ وضربني .. إنه يتحداك .. فلتره من هو علي - توقفت عن اللعب بالدراجة السخيفة التي أنفلت جنزيرها .. وأخذت أنظر لعلي وهو قادم إليَّ وعلى وجهه أعتى علامات الغضب والثورة .. شيء ما جعلني أبقى في مكاني ولا أهرب .. شيء ما لست أعرفه .. وقفت كالأحمق حتى وصل إلي.

أمسكني من ملابسي ناظرا إلى عيني مباشرة وصرخ في وجهي :
- كيف جرؤت على ضرب بتول أمس أيها الغبي .. ألم تعرف أنني أنا

أخوها؟

هنا سكت جميع من في المكان .. الأولاد ينظرون لما يحدث وقد وجدوا ما يسليهم أخيرا .. الفتيات ينظرن لي في حسرة وهن يتوقعن ما سيحدث بعد لحظات لأنهن يعرفن من هو علي جيدا .. وهنا انهالت على وجهي ضربة بكف علي القاسية .. تبعتها واحدة أخرى .. ثم أخرى وأخرى وأخرى .. وقعت على الأرض وأنا أشفق على كرامتي أكثر مما أشفق على فكي الذي تحطم .. تركني علي وانصرف بدون كلمة أخرى .. نظرت حولي .. كلما تلتقي عيني بعين ولد أو فتاة يحول وجهه بعيدا عني .. رأيت يدا ممدودة إلي .. كان هذا هو الولد الذي كنت أسابقه بالدراجة - ماذا كان اسمه؟ - أمسكت بيده وقمت .. ثم انصرفت من المكان بدون تعليق آخر.

اسمحوا لي أن أتجاوز هذا الموقف .. وألاّ أحكي لكم كيف استرددت كرامتي .. ولا كيف عادت صداقتنا مع بتول أقوى من السابق .. ولا كيف أصبح علي صديقي الشخصي حتى الآن .. لن أحكي لكم كل هذا لأنه لا يخدم قصتنا هنا .. سأقفز لكم بالأحداث مباشرة إلى مابعد هذا بثلاث سنوات أخرى .. إلى كيكو .. كيكو الذي قتلنا أمه .. والذي قد تذكرنا أخيرا بعد مضي هذه السنين.

كانت بتول الآن مختلفة عن السابق كثيرا .. أصبحت تلعب معنا أكثر .. ونسينا كل شيء عن أمر كيكو القاتل .. حتى ذكرتنا هي به ذات مرة

قائلة :

- هل تذكرون كيكو ؟

قالت سارة :

- كيكو من؟

قالت نورهان :

- مالذي ذكرك به يا بتول؟

قالت بتول :

- لقد زارني أمس .. وهو يريد أن يراكم .. لقد أخبرته أنه لا علاقة لكم بامر قتل والدته أبدا

أخذنا نتناقش بحرارة بين معارض وموافق .. وكنت أنا أول الموافقين لأني كنت فضوليا .. كنت أريد أن أرى جنيا .. ولو لمرة واحدة في حياتي .. وقد جعلت الجميع يوافق معي على إعادة التجربة الرهيبة.

وجاءت الليلة التالية .. وهانحن جلوس على نفس المائدة الجميلة في فيلا بتول .. نطالع نفس الشموع .. ونضع أمامنا نفس السكاكين .. نظرت إلى وجه بتول الذي صار أجمل بكثير من السابق .. فوجدتها قد أغمضت عينيها وأخذت تثرثر كثيرا عن هؤلاء المراهقين الذين جاؤوا

ليعتذروا لكيكو العظيم عما فعلوه من قبل .. وعن أنها لا تدري من قتل أمه .. لكنه ليس من هؤلاء الحمقى بالتأكيد .. و .. سمعنا فرقعة من مكان ما .. وانطفأت الشموع ستة شموع مرة واحدة.

ارتجفت .. وعلى ضوء الشمعة المتبقية أمسك هشام بملابسي مرتجفا .. نورهان كانت تكتم صرخة .. وأختي سارة أغمضت عينيها حتى لاترى شيئا .. نظرت نحو بتول فوجدتها تردد كلاما لا نهاية له بلغة غريبة .. ثم تحركت إحدى السكاكين التي على المائدة فجأة .. نعم أقولها بكل قواي العقلية .. تحركت سكينة من مكانها .. وارتفعت في الهواء ببطء مستفز ثم استقرت بجوار التفاحة .. كانت هذه هي سكينة بتول .. وكان هذا يعني أن بتول هي المختارة لتغادر الغرفة .. نظرت لها فوجدتها تتهيأ للانصراف .. قالت لها نورهان برعب :
- أين تذهبين؟ لن تتركينا هنا أرجوك

سمعت صوت بكاء .. كانت هي أختي التي لم تحتمل كل هذا .. قالت لنا بتول ألا نخاف لأن كيكو لن يؤذينا وأن علينا أن نكون شجعانا .. لأننا إذا هربنا هذه المرة .. فإنه سيقتلنا واحدا واحدا بلا رحمة .. قالت هذا واستدارت مغادرة الغرفة .. فتحت الباب وأغلقته بقوة .. تاركة إيانا مرتعبين نمسك ببعضنا من الخوف.

ترى ماذا يمكن أن يحدث الآن؟ فجأة سمعنا صوتا من مكان ما على المائدة .. مثل الصوت الذي تسمعه عند الضغط على عبوة مبيد

الحشرات .. ورأينا دخانا أبيض يخرج بقوة من كوب موضوع على المائدة .. لم نحتمل أكثر من هذا .. جرينا بأقصى سرعتنا نحو الباب .. حاولنا فتحه .. لكنه كان مغلقا بالمفتاح من الخارج .. صرخت نورهان برعب مما زاد الأمر سوءا ثم بكت هي وسارة .. أما هشام فلم يتكلم مطلقا .. انعقد لسانه بداخل حلقه تماما .. وكنت أنا أرتجف كورقة زنجبيل .. لقد حبسنا هاهنا .. وهي نهايتنا بالتأكيد .. إن كيكو أخرج بتول من الغرفة ليستفرد بنا وينتقم لأمه.

فجأة انفتحت الأنوار بقوة أغشت أعيننا وسمعنا ضحكة أنثوية .. وضحكة أخرى كضحكة خنزير بري .. تأتيان من مكان ما بالغرفة .. نظرنا فرأينا بتول وأخوها علي يضحكان علينا بقسوة وقد دخلا من باب خلفي في نفس الغرفة.

إذن فالأمر كله مجرد خدعة سخيفة

غضبت نورهان وقالت :

- أيتها الحمقاء .. هل تجدين في هذا نوعا من التسلية؟ لقد كدت أن تقتلينا رعبا

قالت بتول متشفية :

- هذا هو الهدف .. أن تموتوا رعبا .. وأنتم لستم أول من أفعل به هذا

يا أعزائي

قلت لها :
- وهل هذا المعتوه الذي بجانبك مشترك معك أيضا؟

قال علي :
- بالطبع .. أنا أساسي في الأمر منذ البداية أيها الأحمق

قال هشام :
- لكن الشموع والدخان .. والسكينة .. كيف؟

قاطعته بتول قائلة :
-هل تعرف متجر " روزا بازاري " في نهاية هذا الشارع؟ إنه يبيع العديد من المقالب التي اشتريتها كلها .. هذه الشموع هي أحد هذه المقالب .. وهي تنطفئ كلها معا في فرقعة كالتي سمعتموها .. وهذا الدخان هو من كرة بسيطة مختبئة بداخل ذلك الكوب هناك .. أما السكينة .. فقد ربطتها بخيط يمسك علي بنهايته ويختبيء في الغرفة منتظرا اللحظة المناسبة التي يحركه فيها .. ولم تروا هذا الخيط في الظلام طبعا لأنه خيط أسود .. ثم أخذت تضحك هي وعلي .. يضحكان باستمتاع حقيقي علينا نحن البلهاء الذين صدقنا كل هذا.

لئيمة هي بتول .. وقاسية .. تعشق الرعب والمقالب .. و نحن كلما نتذكر هذه القصة الآن نضحك على أنفسنا كثيرا .. وهذه هي النهاية أخيرا.

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية عين الشر

يرويها : طويبة الحموم - حضرموت (اليمن)

العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر ، " في العين" وإن أكثر هلاك أمتي

إنها حضرموت .. المدينة الوحيدة العربية التي تحمل نفس الاسم منذ آلاف السنين .. حضارة عريقة لازالت تترك ندوبا في عادات أهلها .. ابتسم بفخر يا رجل فأنت تعيش في وادي المسيلة .. ذلك الوادي الذي كان نهرا عظيما تربت على ضفافه أعتى الحضارات في القدم .. واجعل ابتسامتك تتسع أكثر فأنت منتم لقبيلة الحموم .. القبيلة التي تفخر بين القبائل اليمنية الأخرى أنها لم ترضخ للحكومة الأجنبية أثناء استعمارها للبلاد .. ولو لم تكن من قبيلتنا فابتسم أيضا بفخر لأنك تحدث الآن واحدا من الحموم .. محدثك هو السيد طويبة .. طويبة الحموم.

معذرة لأنني لم أقدم نفسي أولا .. طويبة الحموم .. مقاول مخضرم من أهل حضرموت .. لكنني لست هنا للحديث عن نفسي .. ولا عن قبيلتي .. أنا هنا للحديث عن ذلك الرجل الواقف هناك .. هل رثيت لحاله من النظرة الأولى؟ رجل هزيل أعمى في الثلاثينات يتكيء على عصا يمشي بها على غير هدى بينما يعدل النظارة الشمسية الكبيرة التي يحب العميان لبسها دائما لسبب غير مفهوم .. هل تصدقني لو أخبرتك أن هذا الرجل لا يجرؤ أهل اليمن كلهم على الوقوف في وجهه؟ هذا الرجل الهزيل هو أرحب .. أرحب الحموم .. أخي.

سأنقل لك الصورة منذ البداية و كأنني أعرض فيلما على آلة عرض أفلام قديمة .. فلنبدأ معا .. هل ترى ذلك الطفل الجالس في فصله في انعزال على تلك المنضدة هناك؟ نعم ذلك الذي تركز عليه الكاميرا .. هذا هو أرحب أخي في سن الثامنة .. إن له حاجبين صارمين نوعا ما ونظرات جادة بالنسبة لطفل في سنه .. الشاشة الآن تعرض لك ست

صور لأطفال صغار .. كل صورة طفل منهم مكتوب تحتها اسمه .. وهذا التاريخ الذي تراه تحت كل صورة والذي كتب على طراز (من عام .. حتى عام ..) يمثل الفترة التي عاشها كل طفل منهم حتى مات .. نعم كلهم ماتوا وهم أطفال .. ربما ستجد كلامي غريبا نوعا ما لكن هؤلاء الأطفال كانوا أقرب أصدقاء لأخي أرحب في فترة الدراسة الابتدائية.

تنتقل بك الكاميرا الآن إلى مشهد آخر .. هل ترى ذلك الفتى الراقد على السرير؟ هذا هو أرحب أخي في مرحلة مراهقته .. كان يعاني من إفراط في حبوب الشباب التي استعمرت وجهه لمدة طويلة .. والآن ابق معي .. هل ترى ذلك الشاب الوسيم الواقف يتحدث هناك .. أنت تراه من جانبه الأيمن .. بعد لحظات سيستدير لتراه بوضوح .. ها هو هناك يتحرك .. هل رأيت؟ لا تفزع .. إن الجانب الآخر من وجهه محروق .. اللحم دخل على بعضه ليشكل منظرا بشعا .. هذا الشاب يدعى فاتح .. وهو شاب وسيم سيء الحظ .. تعرض لحادث سيارة رهيب احترق فيه نصف وجهه .. حرق لا أمل في إصلاحه .. إن فاتح كان شابا أحبته وعشقته فتاة تدعى سندس .. و سندس هي ابنة خالة أرحب .. وهي الفتاة التي كان يهواها أرحب في تلك الفترة .. بل كان يتنفسها.

دعنا نكمل قصتنا .. ترى الآن مشهدا من داخل سيارة .. إن الشاب الذي يقود السيارة هو أرحب .. إنه مسافر في طريق سريع ما .. هناك سيارة فخمة جدا تتجاوزه بسرعة .. نظر أرحب إلى السيارة قليلا ثم أعاد بصره ليركز على الطريق .. بعد أكثر من عشرة أميال رأى أرحب

السيارة مرة أخرى .. لكنها كانت مقلوبة على جانب الطريق السريع .. تابعها ببصره حتى تجاوزها و أكمل طريقه وهو يهز كتفيه متحسرا في فتور على طيش السائقين هذه الأيام.

الآن انتقلت الكاميرا بك إلى مشهد صاخب نوعا ما .. رقص و طبول .. إنه عرس كبير .. كل هؤلاء الحاضرين أقربائي .. أعراس قبيلة الحموم لها طابع خاص جدا .. يمكنك أن ترى العريس بين الحشود .. ها هو هناك .. نعم إنه أنا .. وهو عرسي .. كنت سعيدا لأنني تزوجت فتاة كنت أريدها فعلا .. هذا الجالس هناك هو أرحب .. أراك قد اعتدت ملامحه وعظام وجهه البارزة الآن .. كانت ليلة من أحلى ليالي حياتي .. استيقظت في اليوم التالي لأجد زوجتي ترقد بجانبي ميته .. سكت قلبها عن الخفقان لسبب لا أدريه حتى الآن .. لقد سمعت عن موت الفجأة و أستعيذ منه دائما .. لكن يبدو أنه أتاني في أحب الناس إلى قلبي.

هل تريد مشاهد أخرى لتفهم الحقيقة المرة أم أن هذا يكفي؟ نعم أنا أعترف .. أنا أخ شقيق لأشد عين حسودة في اليمن كلها .. بل في العالم كله على حسب ظني .. إن أرحب الحموم مشهور في اليمن .. لا يجرؤ شخص مهما كان عاقلا رزينا أن يواجهه أو يتعرف به خوفا على نفسه .. كانت هناك أوقات أرى فيها أخي أرحب يمشي فيتباعد الناس عن مساره حتى لا يراهم .. كان مرعبا .. نعم أقولها .. لو كان الحقد رجلا لكان أرحب.

لقد بلغت شهرته أن عقدت معه أحد المجلات العربية الشهيرة جدا مقابلة كاملة قرأها الكثير من الناس ولم يصدقوها .. كان يقول أن كل شيء يحدث رغما عنه .. عندما ينظر إلى شيء جميل لا يقدر إلا أن ينظر له تلك النظرة التي قد لا تستمر أكثر من ثانية .. لكنها تكون كافية .. ثم يختم اللقاء بالقول إنه ومنذ صغره و الكل يتحاشاه ولا يحبه أحد حتى أقرباءه .. وكل ما يفعله هو أنه يعامل الناس بالمثل .. من حقك أن تكره من يكرهك .. ولو كرهك كل الناس فمن حقك أن تكره كل الناس .. وليس لك أدنى ذنب إذا كان كرهك هذا يؤذيهم بهذا الشكل.

لم يعاني أحد مثلما عانينا نحن قبيلة الحموم .. لقد أسقط أرحب سمعة العائلة التي أصبحت مرتبطة باسمه المقبض حتى الآن .. هذا بغض النظر عن أن أذيته طالتنا أكثر من غيرنا لأننا أكثر الناس الذين يحتكون به .. عندما تتعامل مع أرحب و تحدثه فإنك تتعامل مع شخص عادي جدا .. لا تشعر بشيء مريب فيه إلا أنه صموت بعض الشيء و كلامه مقتضب وجيز .. لكنك بعد أن تغادره تتكشف لك مصيبة لن تزال تنهش فيك حتى تهلكك .. أحيانا قد يحدث هذا إذا مررت من أمامه و ألقيت عليه التحية فقط .. أو حتى مررت ولم تلقها .. كان رجلا شريرا حقودا.

لك أن تتصور حال أرحب وشعوره .. كل الذين يكرهونه و يكرههم يرتعبون منه .. لذا كان يتسلط .. لا يجرؤ أحد أن يرفض له طلبا مهما كان .. فعل أرحب كل شر يمكنك تصوره في العالم .. أخذ أموال أناس

أمام أعينهم .. ضرب .. اعتدى .. اغتصب .. وصل إلى مرحلة أن خرجت عليه إشاعات أنه هو المسيح الدجال نفسه .. البعض بدأ يصدق هذا بالفعل .. كان يجب أن يوضع حد لكل هذه المأساة قبل أن ينهار اسمنا على رؤوسنا و لا تقوم لنا قائمة مرة أخرى.

لقد أريتك إياه في البداية وهو أعمى البصر يهتدي بعصا حقيرة .. رغم هذا فلا يزال هناك من يرتعب و يرتجف عندما يلتفت ناحيته أرحب وهو أعمى مرتديا تلك النظارات السوداء .. كيف أصبح أعمى؟ هل هذا سؤالك؟ إن لهذا قصة.

كانت هناك محاولات عديدة لقتل أرحب .. ليس هذا غريبا و كل أهل اليمن يتمنون موته .. لكن كل المحاولات باءت بالفشل رغم أن بعضها كان بالأسلحة النارية .. لكن الله إذا كتب عليك أن تعيش ، فستعيش و لو اجتمع أهل الكون كلهم للفتك بك .. هذه قاعدة مسلم بها.

أذكر في تلك الأيام ذلك الاجتماع الكبير لقبيلة الحموم .. كل الرؤوس الكبيرة حضروا الاجتماع .. كانوا بالطبع يتناقشون في أمر واحد .. أرحب الحموم .. وما حدث لنا بسبب أرحب الحموم .. كانت الآراء متضاربة جدا إلى حد النزاع الحاد .. لكن في النهاية اتفق الكل على ما سيحدث .. لقد قررنا أن نجرده من سلاحه إلى الأبد .. قررنا أن نغتال بصر ابننا أرحب.

كان تفكيرنا منطقيا جدا رغم بشاعته .. هذا رجل سيُقتل عاجلا أو آجلا .. اسم الحموم أصبح في التراب .. وأصبح ينعكس علينا كأشخاص في تعامل الناس معنا .. لابد أن نفعلها نحن .. لن نقتله بالطبع فلسنا مجرمين .. نحن فقط سنغتال بصره .. ويجب أن نفعل هذا بأيدينا نحن .. وأن يكون هذا على مرأى ومسمع من كل القبائل .. فيعود لنا ماء وجهنا و تعود لنا هيبتنا بينهم.

دعني أنقل لك الصورة كاملة كما حدثت في تلك الفترة المشهودة .. وجد أرحب الحموم نفسه ذات يوم مدعوا إلى حفل عائلي بسيط .. عائلة من قبيلتنا تحتفل لسبب عائلي ليس مهما جدا .. من الغريب أن يدعوه أحد .. لكنه قبل الدعوة بساطة وحضر الاحتفال .. في منتصف تلك الليلة أصيب أرحب بدوار مباغت .. دوار أجبره على أن يسند رأسه على المائدة التي كان يجلس إليها ويغيب عن الوعي بهدوء.

يمكنك الآن أن تراني قد أتيت و معي بعض الرجال من أقاربنا لنحمل أرحب بعيدا عن تلك الصالة وندخله إلى أحد غرف البيت .. يمكنك أن تراني أيضا أكشف عن ذراعه و أحقنه بمادة ما بسرعة .. ثم ترانا نغلق الباب بإحكام وراءنا وننسحب في هدوء ونعود لنكمل الحفل.

في اليوم التالي يمكنك أن ترى تجمعا في الشارع الرئيسي بوادي المسيلة يزداد كلما مر الوقت .. كان تجمهرا كبيرا من الناس يبدون و

كأنهم أتوا لرؤية حدث ما .. ثم يمكنك أن ترى مجموعة من الرجال يحملون شخصا معصوب العينين ويخترقون صفوف الجموع متجهين إلى ساحة رملية قريبة .. نعم هذا أنا و بعض من أقربائي نحمل أرحب.

وضعناه على الأرض .. كان مكبلا بشكل يستحيل معه أن يحرك يديه أو قدميه .. الشمس في منتصف السماء والجو حار خانق كأنك تقف في فرن كبير .. هل تتساءل عما نفعله؟ نحن ننفذ ما اتفقنا عليه نحن أكابر الحموم .. نفعل ما كان يجب أن نفعله منذ زمن .. يمكنك سماع صوت أرحب مكتوما من وراء الكمامة المحكمة التي وضعناها على فمه .. لا أدري لو كنت قد لاحظت أم لا ، لكننا أيضا قيدنا حركة رقبة أرحب بشكل يستحيل له تحريكها .. لا زلت أسمع سؤالك عما نبتغي .. تابع و ستفهم كل شيء.

الناس ينظرون لبعضهم غير فاهمين لشيء و تعالت أصواتهم .. فجأة أزلنا العصابة عن عين أرحب و اتضح كل شيء .. هناك حديدتان دائريتان غريبتا الشكل كل واحدة موضوعة على عين من عيونه .. ألم تعرف ما هية الحديدتين بعد؟ إنها أداة استعرناها من عيادة طبيب العيون .. وهي تمسك الجفون لتبقي العين مفتوحة دائما بشكل إجباري مهما حاول المريض إغلاقها .. يستعملونها في العمليات الجراحية على العين عامة .. سمعنا من أرحب صرخة مكتومة لكنها بدت عالية جدا في آذاننا .. صرخة ألم .. فقد كنا قد وجهنا جسده و رأسه وعيناه لينظر إجباريا إلى قرص الشمس الكبير.

حاول أن يتملص مرارا بتحريك جسمه في محاولة للانقلاب على بطنه لكننا طبعا اخترنا أقوى رجالنا لتكبيله بالسلاسل السميكة و تثبيته .. كان أحد مشاهد حضرموت التي لا ينساها أي يمني .. لحظة اغتيال عين الشر .. الناس توقفوا أماكنهم من هول الموقف .. يمكنك أن ترى رجالا من الشرطة يقفون لمشاهدة الحدث دون محاولة للتدخل .. فنحن نفعل فعلا نحافظ به على الأمن العام و ليس العكس.

كانت هذه هي الخطة ببساطة .. كيف تغتال بصر إنسان دون أن تقدم على أفعال شنيعة مثل فقء العين أو صب ماء ساخن عليها أو حتى اقتلاعها بيدك أو بالسكين أو ضربه عليها مباشرة .. كان أرحب يصرخ .. ويحرك كرة عينيه يمينا و شمالا للهرب من قرص الشمس .. كان يتألم بقسوة .. هل تصفنا بقساة القلوب؟ أنت لا تعرف الشر الكامن داخل هذا الرجل .. إن الأمر كله يذكرني بمشهد تكرر كثيرا في الحضارات القديمة .. مشهد حرق الساحرة .. لقد كانوا يأتون بها و يصلبونها أمام الكل و يحرقونها .. هي عملية طبيعية يتم فيها تطهير الشر .. الفرق هنا أن الشر متمثل في عيني رجل.

ظللنا على هذا الحال أربع ساعات كاملة .. حتى نتأكد أن بصره قد احترق .. أصبنا بالإجهاد الشديد نحن وكل الحضور .. في النهاية أضفنا اللمسة الأخيرة .. أخرج ثلاثة منا أقلام من النوع الذي ينبعث منه ليزر أخضر ويستعمل في المهرجانات .. وجهنا الليزر إلى عينيه مباشرة لمدة كافية .. وهكذا أنهينا العملية .. وتطهر اسم قبيلتنا .. كانت عملية اغتيال .. اغتيال بصر.

أعدنا العصابة على عين أرحب و حملناه على أكتافنا مغادرين المكان إلى منزل العائلة الكبير .. كان منهارا .. وضعناه داخل حمام بارد ليغتسل بعد كل هذا الإجهاد .. ثم أرقدناه على سرير ووضعنا له قماشا مملوء بالثلج على عينيه لنخفف من ألمه .. كان في حالة يرثى لها .. لم ينطق بكلمة .. رغم أن كلام كبير العائلة له كان قاسيا وهو يخبره أنه الآن قد تطهر من شره إلى الأبد وبأنه سيسمح له بالسكن و العيش في أي بيت من بيوت العائلة يختار وهم ملزمين بكافة احتياجاته .. قال له أيضا أنه سيزوجه لو أراد ذلك .. كانت أياما لا تنسى حقا.

بعد شهر وثلاثة أيام بالضبط توفي أرحب لسبب غير معروف .. وجد ملقى على الأرض في بيت العائلة الكبير .. و خرجت الحموم كلها في جنازته .. كنت من الذين حملوا نعشه .. كانت الجنازة تمشي بهدوء حتى وصلت إلى مقابر الحموم الشهيرة .. كنا قد جهزنا له قبرا خاصا بعيدا عن القبور الأخرى .. فقد كنا نعتقد أن هذا أكثر أمنا بشكل ما .. وصلنا إلى قبره .. لكن ما هذا؟ لماذا لم يحفر هؤلاء الحمقى القبر جيدا.

رأيت راعي المقبرة يتجادل مع أحد كبار العائلة و يقسم بأغلظ الأيمان أنه حفر القبر بالحجم المعتاد في كل القبور .. وهو يمارس هذه المهنة منذ عشرين عاما و ليس من المعقول أن يخطيء مثل هذا الخطأ الغبي الآن .. لم نضيع مزيدا من الوقت .. طلبنا منه أن يزيد حجم الحفرة لننهي هذه المهمة بسرعة .. و بالفعل أمسك الرجل جاروفه و بدأ في الحفر.

لست أدري شيئا عن الحفر .. لكن إما أن هذا الرجل لا يفقه شيئا أو أن هذا التراب لا يتحرك فعلا .. الرجل يبذل مجهودا هائلا كما هو واضح و جدران القبر كما هي لا تتزحزح .. أخذ يضرب الجدران بجاروفه بقوة بلا فائدة .. وهنا نزل الشباب لمساعدته .. البعض أمسك حجرا ثقيلا وأخذ يضرب على الجدران في محاولة لتوسيع الحفرة .. نصف ساعة كاملة ونحن نحاول .. حتى يئسنا تماما.

شرع الرجل في حفر قبر جديد .. لكن شيئا حدث في تلك المقبرة .. الرجل أصيب بالذهول العارم .. الأرض لا تستجيب للجاروف كأنها تأباه .. تحول ذهول الرجل إلى رعب و قراءة للمعوذتين .. ثم بدأ اهتمامنا يعود مرة أخرى للقبر الضيق الأول .. حملنا أرحب من نعشه وأدخلناه في ذلك القبر الضيق .. وقد بذلنا في هذا جهدا حقيقيا .. كان هذا هو الحل الوحيد .. لم نعد نريد شيئا أكثر من أن ندفن هذا الرجل لننتهي من هذا العذاب.

بدأنا في ردم القبر بعد أن أدخلنا أرحب .. حتى سوينا الأرض جيدا .. وبدأنا ننفض التراب عن ملابسنا .. دقائق و سمعنا ما أرجف قلوبنا و أذهل عيوننا كلنا بلا استثناء .. سمعنا صوتا أرضيا مكتوما من النوع الذي تسمعه في وقت الزلزال .. وصوت تكسر عظام واضح جدا .. يا إلهي هل أنا أهذي؟

عدنا إلى ديارنا .. وهناك فهمت كل شيء كما حدثنا أحد الشيوخ من

قبيلتنا .. حدثنا عن ضيق قبر الحاسد وظلمته .. و هو شيء ليس بغريب على روحه .. ففي حياة الحاسد يكون في كدر نفساني و ضيق دائم في صدره .. ويستمر هذا الضيق معه في قبره .. لكن أن يُضم القبر على عظامه حتى يكسرها فهذا عذاب منزل من الله لهذا الرجل الحسود بالذات دون غيره .. هكذا كانت نهاية أرحب أخي .. أرحب الحموم.



حكاية جنود الرعب (قصة حقيقية)

يرويها : مصطفى توفيق - المنصورة (مصر)

" نشعر بالفخر أمام مقابر الشهداء من جنود الحرب .. فقط لأنهم يحاربون لأجلنا .. فماذا لو انقلبت الآية؟ "

عزيزي مصطفى .. اشتقت إليك كثيرا .. ربما تذكرني وربما لا .. فقد جلسنا معا يوما واحدا .. لكنني شعرت بعده أنني أعرفك منذ ملايين السنين .. شعرت أننا كنا جنبا إلى جنب ذات يوم نحاول الإمساك بالماموث الصوفي أيام العصر الحجري وعلى كل منا مجموعة من الأصواف التي من المفترض أن تحمينا من البرد .. أنا معتز .. الذي قضيت معه يوما كاملا في السنة الماضية في غرفته في المنصورة .. أنا الشاب ذو القدم المشلولة .. هل تذكرتني الآن؟ عرفت أنك أتيت في هذه الإجازة إلى المنصورة .. ويجب أن أراك مرة أخرى .. فأنا أشعر بفراغ كبير يقتلني قتلا .. حفظت كل الكتب التي لدي و رأيت كل الأفلام .. أنت تعرف أنه لا يمكنني الحركة خارج سريري .. شعور قاتل أن تعرف أنه من المسموح لك الحركة لعدة سنتيمترات فقط يمينا وشمالا .. سريرك هو مملكتك الدائمة .. جزء من هذا السرير تتدثر فيه بالألحفة عند النوم .. جزء آخر ترفع قدمك فوقه وتسند ظهرك للقراءة ليلا .. حفظت جميع الحفر والبقع الموجودة في السقف .. لن أطيل عليك الكلام .. لكنني أرجو أن تأتي إليَّ ذات يوم في هذه الإجازة .. وأتمنى أن يكون هذا اليوم قريبا جدا .. صديقك .. معتز "

" صديقي معتز .. لقد أتيت إلى المنصورة لزيارة خالتي هناك .. ربما يكون هذا هو أول خطاب أبعثه بالبريد الإلكتروني في حياتي كلها .. عادة أفضل الهاتف .. لازلت أذكر ذلك اليوم الذي قضيته معك نتحدث في كل شيء .. أنا عادة لا أحب الثرثرة .. لكنني أحببتها معك .. صدقني أنت يجب أن تكون كاتبا أو مفكرا في يوم من الأيام .. أحيانا أشعر أنك تعرف كل شي وقرأت كل الكتب التي كتبها أي إنسان .. في

طريقي إليك قريبا .. مصطفى"

" عزيزي مصطفى .. يجب أراك .. فأنا كما تعلم بدون أصدقاء .. لا يزورني في غرفتي هنا غير أمي المريضة التي تخدمني بعينيها رغم ألم مفاصلها الذي يجعلها تحتاج لمن يخدمها .. بانتظارك .. معتز "

" عزيزي مصطفى .. أسبوع كامل مضى على خطابك الذي أرسلته لي قائلا أنك في طريقك إلي .. فلم لم تأت لزيارتي ياصديقي؟ ربما صدقت نفسي حينما جلست معي يوما واحدا و اعتقدت أن هذا سبب كاف لجعلك صديقي .. يبدو أنني سأموت في مكاني ولن يسمع عني أحد .. أتمنى أن تكون سعيدا في المنصورة .. صديقك معتز "

- ألا تفهمون؟ لا يمكنكم الحجز في هذا الفندق بدون بطاقة شخصية أو جواز سفر على الأقل .. أنتم شابين وفتاة مجهولي الهوية لا أعرف عنهم شيئا.. وليست لدي سوى غرفة واحدة شاغرة .. ولا يمكنني إدخالكم فيها جميعا هكذا .

- ألا ترى ياسيدي أننا في منتصف الليل وأنك إن لم تدخلنا عندك فلن نجد مكانا آخر يؤينا .. كل الفنادق في البلد ليست فيها غرف شاغرة؟

- هذا لا يخصني يا فتي .. النظام هو النظام .. حتى لو وجدتم فندقا آخر فيه غرف شاغرة فلن يستقبلكم بوضعكم هذا .. أنا لن أتحمل مسؤوليتكم .. ربما أنتم هاربين من مصيبة ما.

كنا ثلاثة شباب .. أنا و ابن عمي يوسف و أخته آية .. ماذا وضعنا في هذا الموقف ونحن نعتبر نوعا ما من أبناء الذوات الذين يجب أن يتناولوا العشاء على مائدة كموائد السلاطين .. ويغسلون أسنانهم دائما قبل النوم؟ هذه قصة طويلة عائلية لا دخل لكم فيها .. لكننا الآن هنا .. وسنبيت في هذا الفندق الآن .. حتى بوجود هذا المزعج الذي يحب النظام .. تصنعت آية الذلة والانكسار ونظرت إلى الأرض ببراءة تجيدها قائلة :

- فليكن .. هيا بنا .. يبدو أننا سنقضي الليلة على الرصيف.

استدرت واستدار الجميع معي متجهين إلى الباب .. وفجأة سمعنا الصوت الذي كنت أتوقعه يقول :

- فليكن .. ليلة واحدة فقط .. واحدة فقط .. وتنصرفون غدا صباحا .. وهذا آخر كلام عندي.

ابتسمت ابتسامة خبيثة لم يلحظها قائلا :

- فليكن .. غدا صباحا سننصرف .. وهذا وعد مني بذلك

غرفة سيئة جدا .. جدران بحالة تجعلك تشفق عليها .. ولا داعي لذكر الحمام لأنه يستحيل أن يوصف بالكلمات .. فكرت في فتح الشرفة لعلي أجد شيئا يهون عليَّ كل هذا .. ها قد فتحنا الشرفة بعد عناء أنا ويوسف .. نظرنا إلى المنظر أمامنا .. مستحيل .. هذا لا يمكن أن يكون فندقا ..

هذه الشرفة تطل على .. تطل على مقبرة كاملة.

يبدو أن حظي السيء بدأ يتذكرني مرة أخرى .. هنا سمعت آية تقول :
- هل نغير الغرفة؟

قال يوسف :
- لا بد من هذا .. لن أنام بجوار الأموات .. ألا تذكرون الفيلم الذي شاهدناه في سينما فيلتنا؟ لقد حدثت لتلك العائلة التعيسة قصتنا هذه بحذافيرها .. واكتشفوا في النهاية أن الفندق نفسه مبني على مقبرة ملعونة.

ذهبنا معا مرة أخرى إلى الاستقبال في الأسفل .. تناقشنا مع الرجل الثقيل الظل إياه طويلا .. فهمنا في النهاية أنه ليست هناك غرف شاغرة فعلا سوى هذه .. لكنه قال ليطمئننا :
- هذه مقابر الجنود الذين استشهدوا في الحرب .. أبطال المنصورة الذين يشهد لهم التاريخ .. الأبطال الذين ضحوا بعمرهم في وجه الاستعمار من أجل أن نعيش نحن.

عدنا لغرفتنا محملين بالأفكار السوداء حينا والبيضاء حينا آخر .. المتشائمة حينا و المتفائلة حينا آخر .. لكن دعوني أستبق بكم الأحداث

وأقول .. إن الليلة التي قضيناها بجوار هؤلاء الشهداء كانت قاسية نوعا ما .

والآن هانحن قد أغلقنا الغرفة علينا وأصبحنا بداخلها نتأملها .. نظرة لا إرادية إلى النافذة .. نصغي لكل همسة .. لو وقع من أحدنا الآن أي شيء لأصابنا جميعا بالصرع لبقية حياتنا.

قال يوسف في لهجة حاول أن يجعلها حازمة :
- لا أريد كلمات من طراز " هل سمعتم هذا الصوت " أو " لن أنام بجانب النافذة " أو أي تعابير سخيفة أخرى.

نظرات صامتة قابلت كلامه جعلتني أنظر إلى النافذة لا شعوريا .. اقتربت من النافذة لأفتحها .. نظرت إلى المقبرة التي تطل عليها .. أرض لا تتحرك فيها ذبابة .. كل شيء فيها ساكن وكأنها لوحة مرسومة .. لمحت يوسف يحاول فتح التلفزيون .. كان كل ما يحصل عليه هو مجرد وش طويل لا ينتهي ولا ينذر بقرب ظهور أي صورة ما.

وبينما كنت أنظر إلى اللوحة الساكنة في الخارج رأيت سيارة تقترب من المقبرة ببطء وصوت الأغاني من المسجل بداخلها يصل إلى هنا ..

سمعت بداخلها العديد من الضحكات الشابة .. توقفت السيارة أمام المقبرة ونزل منها شابين .. أخذا يتضاحكان كالمخابيل ثم انحنى أحدهما على باب السيارة الخلفي وأخذ يضرب عليه بيده .. فتح الباب الخلفي وخرجت منه فتاتين جميلتين .. نظرة لا شعورية أخرى إلى الساعة في يدي .. إنها قرب الثانية بعد منتصف الليل .. تعالت الضحكات الماجنة مرة أخرى .. أغلق أحدهم المسجل فأصبحت أسمعهم بوضوح تام وكأنني معهم .. لا أعتقد أنهم توقفوا هنا ليقضي أحدهم حاجته .. وإلا كان وبالا عليهم وعلينا وعلى جميع أعداء مصر .. هنا انفصل أحدهم عن المجموعة متجها إلى المقبرة .. و بدأت يداه تحاول فتح أزرار سرواله .. يبدو أن ما توقعته سيحدث .. لمحت يوسف ينظر معي إلى نفس المنظر .. أتت آية من الداخل لمشاركتنا النظر .. ابتعد الفتى الذي سيقضي حاجته عن أنظارنا قليلا حتى أصبح مجرد ظل تميزه بصعوبة من حشد الظلال من حوله .. بقية المجموعة يتضاحكون في مجون .. وهنا حدث شيء جعل أعيننا تتسع عن آخرها .. وجعل الضحكات الماجنة تتوقف .. شيء مخيف.

ليس من الممتع مراقبة ما يحدث لمعتوه يقضي حاجته في مقبرة .. كان ما سمعناه مفزعا .. سمعنا صراخ الشاب من بعيد .. تبعه صوت طلقات مسدس سريعة .. وسرعان ما انتقلت الصرخات لباقي أعضاء المجموعة و لنا نحن من قبلهم .. ركبوا السيارة جميعا كيفما اتفق و أصدروا ذلك الصرير المميز للعجلات التي تحتج دائما على الانطلاقات المماثلة .. لكن الأمور لم تمض على خير لسوء حظهم ..

فجأة انفجر الإطاران الخلفيان للسيارة بعد انطلاقها فتوقفت مُرغَمة مُحدِثة صريرا مزعجا .. وكان يبدو أنها النهاية.

لم ينتظر أحدهم لحظة أخرى .. شعرت أن أبواب السيارة الأربعة فُتحت مرة واحدة ومجموعة من المخابيل يركضون بعيدا عنها وكأن شياطين الأرض تركض وراءهم .. وما أدرانا .. ربما تكون شياطين الأرض حقا تطاردهم الآن .. ظللنا نراقبهم وهم يركضون حتى اختفوا عن ناظرينا تماما .. وسكن كل شيء فجأة وكأن شيئا لم يكن .. أبواب السيارة لازالت تتحرك ببطء شديد ربما بفعل الهواء .. وقد أضيفت سيارة مذعورة إلى اللوحة الساكنة لتضيف عليها نكهة جديدة .. نكهة مرعبة.

- يجب أن نذهب من هنا الآن
- ليست فكرة جيدة .. هل تعرفين كم الساعة الآن؟
- لا تهمني الساعة .. أريد أن أذهب من هنا الآن .. وحتى لو لم يأت أحد معي .

كانت هذه هي آية .. تؤدي دورها الهيستيري في هذه المسرحية .. إن لم تفعل هذا لشككت أنها فتاة أصلا .. أخذ يوسف يهديء قليلا من روعها .. ثم نظر إلى النافذة قائلا :

- لا أظن أن أحدنا سينام في هذه الليلة

قلت مفكرا :
- نحن لازلنا في بداية الليلة .. الساعة الثانية بعد منتصف الليل .. لازالت أمامنا ثلاث ساعات كاملة حتى الصباح

قالت آية في هيستيريا :
- ستكون كافية جدا لنموت كلنا بأيدي هؤلاء الشياطين

قلت لها في تحد :
- أية شياطين أيتها الذكية .. هذه الطلقات التي سمعناها هي حتما من بندقية حارس المقبرة .. لابد لكل مقبرة من حارس على حد علمي .. خاصة لو كانت مقبرة مهمة كهذه.

قال يوسف :
- يبدو أنك مخطيء .. لو كان هذا حارسا لاكتفى بالطلقات الأولية التي أخافتهم وجعلتهم يهربون بالسيارة .. لكن ما تفسيرك للطلقات الثانية التي فجرت الإطارات؟

- ما أدراك أن هناك طلقات فجرت الإطارات؟ أنا أرجح أن هناك شيئا

ما على الأرض.

اتجهت آية إلى الباب عازمة على الخروج من هذا كله .. وهنا تدخل يوسف أخوها قائلا في غلظة :
- لن تذهبي لأي مكان .. هيا تعالي وكفي عن هذه الحركات البلهاء

قلت له في بساطة :
- اتركها يا عزيزي تذهب .. اتركها من أجلي.

نظرَت لي شذرا .. كانت تعرف أنني أعرف أنها لن تستطيع أن تخطو خطوة واحدة وحدها خارج هذه الغرفة .. كان جوا متوترا .. مليئا بالصرخات و الشياطين و النقاشات التي لانهاية لها .. و أخيرا سمعنا شيئا وضع حدا لكل هذا الإزعاج وجعلنا ننظر لا شعوريا إلى النافذة .. صوت أبواب سيارة تغلق بقوة.

نظرة من النافذة وفهمنا كل شيء .. كان الرجل الذي قابلناه في الاستقبال - ثقيل الظل إياه - ومعه رجل آخر يتفحصون السيارة ويتحدثون أحاديثا أعرف أن أغلبها أسئلة عن السيارة و ما الذي أتى بها هنا.

قلت موجها كلامي للجميع :
- أرى أن ننزل لنجلس في ساحة استقبال الفندق .. هناك مقاعد مريحة هناك وسنجد أنسا مع طاقم الاستقبال .. وسنجد إجابة عن أسئلتنا " المقبرية " كلها.

وافقتني أعين الكل .. وهنا اتجهنا للأسفل معا وأغلقنا الغرفة المشئومة وراءنا .. لم يكن رجل الاستقبال الثقيل الظل بالخارج .. كان هناك واحد آخر يبدو شابا يجلس في مكانه .. سألنا بسرعة :
- ما الذي أتى بكم .. هل هناك مشكلة في الغرفة؟
- لا مشكلة هناك .. لكن لم نستطع النوم.
- هل تقصدون أصوات الطلقات .. ستعتادون الأمر .. لقد كان الأمر يزعجنا في البداية .. لكنه الآن أصبح أمرا طبيعيا .. أنت بجانب مقبرة للجنود .. ماذا تتوقع أن تسمع غير صوت طلقات ومدافع؟ لا أدري لماذا يعقد الجميع الأمور بهذا الشكل.

كان يبدو الرجل ثرثارا جدا .. وقد وجد فرصة لإشباع جميع رغباته الثرثارية .. لكن هذا كان مفيدا في حالتنا .. كنا نريد معرفة كل المعلومات الممكنة عن كل شيء هنا .. وهنا سألته :
- ماذا تقصد أننا سنعتاد الأمر؟ ألم يكن هذا الرصاص بفعل حارس المقبرة بعد الزيارة التطفلية لهؤلاء الشباب؟
- هذه المقبرة ليس عليها حراس .. كيف تضع حارسا على مجموعة

من الجنود المدججين بالسلاح؟

قال له يوسف وقد بدأ هذا الغباء يضايقه :
- هؤلاء الجنود ماتوا منذ زمن طويل .. وهم شهداء عند ربهم يرزقون الآن .. لا حاجة بهم لإطلاق المزيد من الطلقات كل ليلة.

- أعرف ما تقصد أيها الصبي اللطيف .. ربما أخطأت أنا التعبير فقط .. كلنا نعلم أن الأموات ليس لديهم الوقت في مقابرهم لإصدار أصوات سخيفة لتخويف الناس .. ما قصدته هو أن هناك جن يسكن هذه المقبرة .. ربما هو القرين .. هل تعرف القرين يا فتى؟

سألته وقد بدا لي يدافع عن شيء ما :
- هل تقصد أن قرناء هؤلاء الجنود يمرحون بإطلاق النار في كل ليلة؟
- لا يا عزيزي .. القصة أن هؤلاء القرناء غاضبين لأن هؤلاء الجنود ماتوا دفاعا عن الأهالي هنا .. لكن الأهالي لم يهتموا بهم أو بمقبرتهم .. بل إن هناك رجلا ثريا من المنصورة كان سيبني مشروعا على هذه الأرض التي فيها المقبرة .. ولولا أنه عرف بأمر الجن .. لكان بنى فوقها برجا سكنيا طويلا.

- لكنها الآن مبنية وعليها شواهد لكل قبر .. لقد رأيناها من النافذة

بوضوح.
- معك حق .. وهذا هو السبب الذي جعل الأصوات تخف جدا الآن .. في السابق كان الناس يسمعون أصوات المدافع والدبابات وصرخات الجنود .. ولم يكن أحد يرتاد الفندق أبدا .. لذا تبرع مدير فندقنا المتواضع ببناء هذه الشواهد وهذا السور الذي رأيتموه من النافذة.

هذا الرجل إما يلعب بعقولنا .. أو أن كلامه صحيح .. و في الحالتين لا أجد هذا الفندق مريحا جدا.
و هانحن قد اجتمعنا مرة أخرى في تلك الغرفة الكئيبة نناقش احتمالات خروجنا من هنا أو بقائنا لبضع ساعات أخرى .. أنا أعشق الرعب .. لذا كان الأمر رغم كآبته يمثل لي متعة خاصة .. وفجأة قلت :
- من منكم يذهب معي لزيارة مقبرة الشهداء؟

أن تشاهد فيلم رعب في السينما لهو أمر ممتع جدا .. لكن الأكثر متعة هو أن تعيش أجواء فيلم الرعب هذا بنفسك .. أن تمشي بين شواهد مقبرة تعلم مسبقا أنها ملعونة .. أن تسمع أصواتا غريبة من آن لآخر هنا أو هناك .. ما هو أقصى ما يمكن أن يحدث؟ أن تتفتق الأرض عن مجموعة من الزومبي النصف ميتين؟ أم أن يحوم الجن حولك عازما على جعلك تفقد كل ذرة عقل كنت تملكها؟ في حالتنا هذه أعرف أنني سأسمع الكثير من طلقات الرصاص و المدافع وربما القنابل أيضا .. وماذا أيضا؟ لا شيء يستحق الخوف منه .. بالعكس .. إنها تجربة ممتعة تستحق أن نخوضها .. و النون في كلمة نخوضها مهمة جدا ..

لأن الجماعة دائما تبدد الخوف .. ناقشت الأمر معهم طويلا محاولا إقناعهم بوجهة نظري المجنونة و التي ربما لا يؤمن بها في هذا العالم غيري .. لم تقتنع آية بشيء .. لكن يوسف كان سهل الإقناع .. فهو مثلي .. يحب المغامرة .. خاصة لو خضناها معا جنبا إلى جنب .. في النهاية تم الاتفاق على أن أذهب مع يوسف إلى هناك .. بينما تبقى آية التعيسة هنا .. هذه ستكون تجربة مريعة .. و أنا أحب هذا النوع من التجارب.

ماذا يمكن للمرء أن يأخذ معه في رحلة إلى مقبرة؟ ماء بارد؟ سندوتشات؟ لا أظنها فكرة صائبة .. كما أن شيئا من هذا لا يتوفر معنا في هذه اللحظة .. لذا بدأنا فورا في التحرك .. نظرة أخيرة منا إلى آية رأينا في عيونها أقسى أنواع التعابير .. وأقسى أنواع التساؤل الأنثوي عن هؤلاء الرجال الذين يتركونها بعد منتصف الليل لزيارة بعض الأشباح .. وأخيرا انصرفنا وأغلقنا الباب خلفنا في رفق .. قابلنا الرجل الثقيل الظل في الاستقبال فنظر إلينا نظرة كريهة .. فقابلته بنظرة مماثلة وأدرت وجهي عنه عازما الخروج .. توقعت أن يستوقفني متسائلا عن الشيء الذي يدعوني للخروج في هذه الساعة من الليل أنا ويوسف .. لكنه لم يفعل .. ووجدنا أنفسنا في الخارج بسلام .. ترى هل هي فكرة صائبة أن نترك آية وحيدة في هذا الفندق الغريب تحت إشراف هذا الرجل الثقيل الدم الذي لم أرتح له منذ أن رأيته .. نظرت إلى يوسف فوجدت ملامحه تفكر في ذات الشيء الذي أفكر فيه ..
وأخيرا وضعت حدا لكل هذا قائلا :

- يوسف .. سأذهب وحدي ولتبق أنت مع أختك
- وما الذي يدعوك أن تذهب أصلا؟

- لست أدري لم أقطع هذه المسافة إلى الأسفل لأرجع بعدها والمقبرة على بعد خطوات مني.
- فليكن يا مصطفى سأنتظرك فوق

وتحرك بعدها عائدا بسرعة غير منتظر لردي .. أنا أعرف هذا الأسلوب .. إنه يضعني في وسط المأزق الذي اخترت أن أضع نفسي فيه لأجد نفسي وحيدا فأخاف وأصعد بعده مباشرة .. لكنني أعرف هذا الأسلوب وأستخدمه كثيرا .. و لا يؤدي معي إلى أية نتائج .. لذا نظرت إلى الفندق نظرة أخيرة وتقدمت من المقبرة بخطوات بطيئة تميز المترددين الذين يؤثرون التراجع.

لا أدري لماذا يمشي كل من يزور الأماكن المخيفة بخطوات بطيئة .. القصور المهجورة والمقابر الملعونة .. لماذا يمشون فيها دائما ببطء شديد ناظرين يمينا ويسارا ببطء أشد .. هل يساعدون الشياطين في تخويفهم؟ قررت أن أمشي بخطى عادية وكأنني أزور هذه المقبرة كل يوم .. وهكذا تقدمت منها متسائلا في داخلي عن هذا الجنون الذي أتميز به دائما عن الآخرين .. أحيانا أشعر أنني الوحيد المختلف .. أنني أنا الوحيد الغريب وسط كل هؤلاء البشر .. ربما لأنني أنا نفسي أحب أن أكون مختلفا .. أحب ألا أكون " آخَر".

وخلال استغراقي في كل هذه الأفكار وجدت نفسي أدوس على طريق مختلف .. طريق مليء بأوراق الأشجار الذابلة .. لماذا تتميز كل المقابر بذات التفاصيل دائما؟ يبدو أنني بدأت أدخل في حيز المقبرة .. هل جرب أحدكم سكون المقابر من قبل؟ إنه سكون تام قاتم .. يمكنك حقا أن تسمع فيه دبيب النملة من تحت قدميك .. كلما تقدمت خطوة أسمع صوت تكسر أوراق الشجر الصفراء الذابلة من تحت قدمي .. وبينما أنا أقف في مكاني أطالع سور المقبرة الذي أصبح يبعد عني خطوتين أو ثلاثة .. سمعت صوت تكسير الأوراق إياه .. لست أنا من أحدث هذا .. كما أنه لا يمكن أن يحدث بفعل قط مثلا أو فأر .. فالصوت الذي سمعته لا يصدر إلا عن قدم بشرية .. وهو صوت لخطوة واحدة فقط .. أي أن من أحدث هذا الصوت مشى خطوة واحدة ثم توقف .. لماذا توقف؟ ولماذا مشى خطوة واحدة؟ بل لماذا مشى أصلا؟ كلها أسئلة وجدت إجابتها في الدقيقة التالية مباشرة.

نظرت عند الباب لأجد نقطة صغيرة جدا مشتعلة والدخان يتصاعد منها .. ورأيت هذه النقطة تتحرك لأسفل ثم لأعلى .. أمعنت النظر المذعور لأتبين في النهاية أنها سيجارة مشتعلة في يد شخص ما .. حاولت أن أرى التكوين البشري المفترض أنه يدخنها .. كل ما رأيته هو مجموعة من الأسمال البالية .. وشيء ما يفترض أنه عِمَّة على الرأس .. كانت تكفي نظرة واحدة إلى هذا الشيء لأفزع وأتراجع خطوة إلى الوراء .. أدت بي هذه الخطوة إلى الوقوع على أرض المقبرة .. لا أدري لماذا

تذكرت تلك المقولة اللعينة التي كنت أسمعها مرارا من الكبار "من وقع على الأرض عند زيارته للمقبرة فسيصاب بالجنون الدائم .. هذه حقيقة واضحة مثل شمس الظهيرة"

مخاوف عديدة اجتمعت عليَّ في هذا الوقت .. نظرت إلى الأسمال البالية فوجدتها ترمقني في فضول .. ثم استدار هذا الشيء أخيرا وأخذ يمشي ببطء محدثا ذلك الصوت على الأرض .. صوت تكسير الأوراق الرتيب.
ظللت في مكاني لحظة منتظرا أن أصاب بالجنون .. إن الكبار دائما يستغلون بلاهة الأطفال للتخريف عليهم.

بعد دقائق مذهولة على الأرض قررت أن أقوم .. نظرت نظرة سريعة للأجواء من حولي .. الأسمال لازالت تتحرك باتجاه سور المقبرة .. لكن مهلا .. إنني أرى السيارة .. سيارة الشباب .. كيف لم أفكر بزيارتها من قبل؟ إنها فرصة لأدقق النظر في إطاراتها لأعرف سبب انفجارها .. مشيت بحرص نحو السيارة ناظرا خلفي إلى تلك الأسمال لأعرف إلى أين وصلت .. أشك أن بداخل هذه الأسمال رجل .. أظن أن بداخلها سلحفاة ما .. هنا وصلت إلى السيارة .. المكان هادىء جدا جدا .. حاولت النظر أسفل السيارة .. لا شيء يدل على أي شيء .. نظرت إلى الفندق .. وبالتحديد إلى شباك غرفتنا .. فوجئت بأن نور الغرفة مطفأ .. ترى ماذا يعني هذا بالضبط؟

هل يعني هذا أنهم في إثري الآن؟ أم تراهم قرروا النوم؟ أنا مع الاحتمال الأول .. حتما هم ينزلون الآن إليّ .. فليكن .. لا يجب أن يروني هنا بجانب هذه السيارة السخيفة .. ينبغي أن يعرفوا أنني لست خائفا .. سيجدونني بداخل المقبرة .. وهنا بدأت أتحرك بسرعة مقتربا من بوابة المقبرة .. نظرت إلى الأسمال .. يبدو أن هذا الرجل مات في مكانه وأصبحت الرياح تحركه .. عندما اقتربت منه بطأت قليلا من خطواتي .. ثم وبصوت لا أدري كيف خرج مني قلت له :

-الـ .. السـ .. السلام عليكم يا حاج

تمنيت ألا يرد .. لكنه التفت إليَّ ببطء قائلا :

- أين أصدقاءك وصديقاتك؟ يا فاسقين يا عديمي التربية والأدب .. أين هم؟

- عم تتحدث يا حاج؟

- هل تركك أصدقاءك وهربوا من السيارة كالجبناء؟

- لحظة يا سيدي هناك خطأ ما و ..

- اخرس .. أنتم لا تحترمون الموتى .. هل أتيتم هنا لتمارسون الفجور أمام مساكن الموتى؟

- سيدي أنا لست ..

وهنا وضع يده في داخل هذه الأسمال .. لابد أنه سيخرج شيئا ما .. وهذا الشيء لن يكون لطيفا أبدا .. لذا استدرت وجريت بأقصى قوتي .. جريت بسرعة خارقة .. وهنا تعثرت .. ولم تكن عثرة عادية .. فمع

سرعتي تلك وجدت نفسي طرت من على الأرض وانقلبت عدة مرات ثم اصطدمت بالحجارة .. ياللألم .. لم أدر ماذا أفعل .. عادة أنا لا أتعثر .. لكن يبدو أن المقابر فيها سر تجعل كل من يجري فيها يجب أن يتعثر .. بدأت الصورة تهتز في عيني .. هناك شيء دافيء يسيل على جبهتي .. لابد أنه دم .. يالذكائي .. أمعنت النظر قليلا .. كنت أرى الأسمال تتحرك نحوي ببطء .. لابد أن ميتا جديدا سيضاف إلى قائمة الأموات هاهنا.

ينصحونك دائما عندما يجري الأسد وراءك أن تمثل أنك ميت .. عندها سيدور الأسد حولك بضع دقائق ثم ينصرف شاعرا بالحسرة .. قررت أن أفعل هذا الآن .. رأيت الأسد .. أقصد الأسمال تقترب .. لكن الرجل لم يدر حولي .. هو اقترب مني و مد يده إلي .. تحسس الدماء على جبيني ثم شدني من يدي قائلا :

- ما الأمر يا بني لماذا جريت؟ أنت مصاب .. تعال معي حتى نجد حلا بسرعة

وهنا أمسك بي ذلك الرجل وحملني بيد واحدة .. وأخذ يمشي عائدا إلى المقبرة .. يالرائحة هذه الأسمال .. هل يظن أنه سيجد أدوية بداخل المقبرة؟ هذا الرجل لا يتحدث بدقة؟ هذا الرجل كاذب .. وهنا حاولت التملص منه بأقصى قوتي لكن هيهات .. حاولت أن أصرخ مناديا بأي اسم .. لكن لم يرد أحد .. يبدو أنني ضحية الليلة .. في نظره أنا الشاب العابث الذي قرر أن يُقلق منام الأموات .. وأنني أستحق العقاب .. فجأة أنزلني على الأرض واتجه إلى مكان ما ليحضر منه شيئا ما .. كانت ساقي تؤلمني بشدة بعد هذه العثرة .. لذا استسلمت تماما .. وفجأة سمعت بعض الأصوات تقترب .. أصوات مألوفة .. إنه صوت يوسف

يتساءل عن شيء ما .. لا أحتاج للكثير من الذكاء لأعرف ماهية سؤاله.

هنا رأيت الرجل قد توقف .. ونظر إلى ناحية الأصوات .. ثم أخذ يقول بضع كلمات غاضبة لم أسمعها جيدا .. لكن لاريب أنها تتحدث عن خراب بيتهم جميعا .. ثم مشى إلى ناحيتهم بحدة .. لا أستطيع أن أحذر أحدا .. إنها نهايتهم .. وهنا سمعت صرخة آية المميزة .. وسمعت خطوات تجري مبتعدة .. أتمنى ألا يتعثروا بدورهم .. سأكون غبيا لو انتظرت لحظة أخرى .. قمت من مكاني بصعوبة و مشيت محاولا أن أسرع خطواتي إلى الناحية الأخرى من المقبرة .. لم أكن أعرف إلى أين ستوصلني .. لكن حتما ستبعدني عن هذا الكائن الشرير قليلا.

اصطدمت في طريقي بالعديد من شواهد القبور .. هذا المكان مخيف جدا جدا .. وهنا سمعت صوت شيء أكد لي أنها نهايتي لهذا اليوم المشئوم .. سمعت صوت كلب .. كلب قوي يتحرك غاضبا نحوي .. استدرت بأقصى سرعة ونفضت عن نفسي كل التراخي وحاولت أن أجري .. لكن الكلب كان قد وصل لي .. استدرت لأراه قد قفز ناحيتي قفزة هائلة .. أغمضت عيني بقوة .. ترى كيف ستكون العضة؟ أنا لم أجربها من قبل .. أخي الصغير كان يعضني أحيانا .. ماذا عن هذه العضة إذن؟

رأيت الكلب يتجاوزني بقفزته ويجري ناحية باب المقبرة .. يالحظي الرائع .. إنه لم يكن يقصدني .. لقد بدا أنه لم يراني أصلا .. يالتعاسة من سيصل إليه هذا الكلب .. سمعت أحدهم يصيح بكلمات غاضبة ..

و الكلب ينبح بقوة .. ثم صرخة أنثوية عرفتها على الفور .. ياللمسكينة آية .. استدرت و أكملت العدو إلى الناحية الأخرى من المقبرة .. بحثت عن أي باب .. و فجأة وجدته .. وجدت باب المقبرة الآخر .. دفعت الباب بسرعة و أكملت الجري .. ثم حدث ما جعلني أتوقف تماما .. نظرت أمامي جيدا .. رأيت مجموعة من خمسة كلاب تتحرك في أرجاء المكان في ملل .. ويبدو أن قدومي قد أزعجهم جدا.

" عزيزي مصطفى .. أرسل لك بهذه الرسالة وقد عرفت أين أنت .. اعذرني لأنني لم أكن أعرف .. أتمنى لك الشفاء سريعا .. أنا أعرف الإحساس القاتل الذي يصاحب تلك الحقنة الكبيرة الخاصة بعضة الكلب .. كنت أود زيارتك في المستشفى .. لكن أنت تعلم حالتي جيدا .. لكنني سأحاول فعل المستحيل لزيارتك مع عائلتي .. صديقك العزيز .. معتز "

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

حكاية كلاب جهنم (قصة حقيقية)

يرويها : مصطفى توفيق - المنصورة (مصر)

" كل المخلوقات تهاجمك إذا شعرت منك بخطر ما ، أما هذه فتهاجمك إذا شعرت أنك تريد الهرب "

جريدة الأهرام المصرية ٢٣ /٧ / ١٩٩٤

الفيلم الذي قتل سبعة بالغين

قررت هيئة الرقابة على الأعمال السينمائية سحب الفيلم الأجنبي " كلاب جهنم" من جميع دور العرض .. و هذا عندما أرسلت تقارير تفيد وفاة سبعة أشخاص عقب مشاهدتهم لهذا الفيلم مباشرة .. ثلاثة منهم كانوا يعانون ارتفاعا في ضغط الدم مما أدى لمضاعفات خطيرة جدا حدثت عند رؤيتهم لبعض المشاهد ، الأمر الذي تسبب في قتلهم على الفور .. أيضا هناك مريض قلب توفي في الليلة التالية مباشرة لمشاهدته هذا الفيلم الخطر .. صرح السيد اللواء أحمد علي ياسين بأنه يجب على الرقابة أن تمنع منعا باتا دخول مثل هؤلاء المرضى إلى أفلام الرعب بطريقة ما ويهيب سيادته بـ .. .. "

جريدة المساء المصرية .. باب صحتك بالدنيا .. 1/ 8 / 1994

السعار ـ داء الكلب

" .. أما عن أعراض هذا المرض فإن المريض يدخل في حالة من الأعراض شبيهة بالإنفلونزا لمدة شهر .. ثم تبدأ الأعراض في التطور لتتحول إلى القلق و الأرق و عدم التركيز و التردد و الحركات الغريبة طيلة الوقت .. ثم يتطور الأمر إلى الهلاوس .. وفي المراحل المتقدمة من المرض يبدأ المريض في إخراج كميات كثيرة جدا من اللعاب و

الدموع ويصل إلى حالة تعرف بـ(كاره الماء) .. لأنه يُبدي ذعرا غير مفهوم لو قربت منه كوب ماء بريء المظهر .. أغلب المرضى يموتون عند إصابتهم بهذا المرض لو لم يتم علاجهم وحتى من ينجون منه ييبقون مع أعراض غير طبيعية في جهازهم العصبي تجعلهم يتصرفون بغرابة طيلة الوقت وقد سألنا دكتور محمد عزات الاستشاري بمستشفى الكلب فأفاد بأن .. "

هل جربت إحساس أن تجري وهناك كلب يجري وراءك؟ إنه شعور بأن الشيطان نفسه يريد أن يعضك .. وشعور بالخجل من منظرك الذي كنت تدعي وقاره وأنت تجري في الشارع بينما هذا المخلوق الرهيب يجري وراءك في إصرار.

أنا جربت هذا مرارا .. و سأنزل بكم الآن إلى وسط الحدث مباشرة على طريقة بعض أفلام الحديثة .. إنه الظلام الرمادي .. ودعني أحدثك عن الظلام عندما يكون رماديا .. الأرض مليئة بأوراق الشجر الذابلة مما يصنع صوتا رهيبا عند الجري فوقها .. شواهد مقابر في كل مكان تشعرك أنك ستكون التالي .. كنت في مقبرة .. وعدة كلاب يجرون ورائي كأنهم خرجوا من حفر جهنم الموجودة بداخل بعض قبور المعذبين في هذه المقبرة.

لا فائدة من المحاولة .. كلما أجري قليلا أجدني وصلت إلى سور المقبرة الذي لا مخرج منه إلى الشارع .. أغير اتجاهي بذعر وأجري ثانية .. لكن يبدو أنهم يعيشون هنا ويعرفون كل شبر من هذه الأرض ..

ربما سمعتم عن وفاء الكلاب .. لكن هل سمعتم عن ذكاء الكلاب؟ هذا ما اكتشفته في تلك اللحظة .. لقد كفوا عن الجري ورائي في مجموعة واحدة كالمغفلين وانفصلت منهم مجموعة .. ويبدو أنها دارت من مكان ما لأجدها أمامي مباشرة .. كنت مذعورا .. من الناس من يموت قبل وقوع الحادث بسبب الخوف .. من يقع من علٍ مثلا أسمع أنه يموت وهو في طريقه إلى الأرض من شدة الخوف .. هذا ما شعرت أنني سأصل له بعد قليل.

- كم سيحتاج من هذه الحقنة يا دكتور؟
- أظن أنه سيحتاج إلى ٩٠ كيلو متر كبداية
- هممم .. ألا تظن انها جرعة صغيرة نوعا؟

وقفت مكاني أخيرا أنظر لكل هذه المخلوقات .. إن هناك لعابا أو كما يسمونه " زبدا " يسيل من أشداقهم جميعا .. فجأة شعرت بشيء ما تحت قدمي .. نظرت بذعر لأرى يدا بشرية يبدو أنها كانت تبيت تحت التربة .. أمسكت اليد بقدمي في إصرار عقابا لي على إزعاجها في هذا الوقت من الليل .. إذن الزومبي الذين كنت أراهم في Resident Evil حقيقيون .. نعم .. لطالما كنت أؤمن بهذا

- كم حقنة باقية لدينا؟
- بقيت ثمان حقن بالضبط
- يبدو أن أمامنا وقتا طويلا جدا

نظرت إلى السور في يأس لأكتشف كالمغفل أن الباب كان أمامي طيلة الوقت وأنا لا أراه .. بل ومفتوح على مصراعيه أيضا .. لا يوجد أسهل من الإفلات من يد زومبي خرجت لك من تحت الأرض .. يجب على الزومي أن يطوروا من أنفسهم فيما بعد .. هنا جريت ناحية الباب بأقصى سرعة .. والكلاب الغاضبة لازالت تجري محمومة ورائي.

- أنتم سفاحون أيها الأطباء ، ما هذا الذي فعلتموه؟
- اهدأي يا سيدتي .. هذا ما تعلمناه
- أنتم جهلة .. أنتم سفاحون .. ستقتلونه .. منكم لله

أمامي شارع واسع مليء بالناس والحركة و أبواق السيارات المزعجة ونهيق الحمير .. لابد أننا في مصر إذن .. قطعت الكثير من الشوارع وسمعت الكثير من السباب البذيء من الناس ومن الكلاب ورائي .. وجدت أمامي مبنىً قذر تحتشد حوله العديد من السيدات المرتديات ثياب الفلاحات يلطمن ويصرخن ويبكين .. و معظمهن يحملن طفلا أو اثنين على سواعدهن .. نعم .. إنها مستشفى مصرية حكومية ما على ما يبدو.

- هل سيموت أم سيعيش؟
- سيعيش أيها الأحمق بالطبع .. لقد نفذنا ماتعلمناه بالحرف الواحد
- أتمنى ألا يقفز ليعضنا واحدا واحدا عندما ننتهي

إن هذه المستشفى هي المفر الوحيد .. لا يمكن أن تكون الكلاب

تكرهني لدرجة أن تدخل ورائي لهذه المستشفى .. دخلت بسرعة من الباب الضيق جدا الذي صُمم للخروج والدخول على مايبدو .. اصطدمت بأجساد عديدة في طريقي .. وسمعت صرخات نساء كثيرات .. يبدو أن الكلاب تحاول الدخول أيضا .. هذا مستحيل .. لم أنظر ورائي .. وإنما مضيت أجري بين الممرات ذات الرائحة التي تجدها في أي مستشفى .. إنهم ورائي .. لازلت أسمع نباحهم .. هنا وجدت أمامي العديد من الأطباء في أحد الممرات يمشون معا .. أصابهم الجنون عندما رأوني .. أخذوا يشيرون لي و يصيحون :

- إنه هو .. لا تدعوه يفلت منكم .. أمسكوا به

يا إلهي .. أنا مطارد من الملائكة والشياطين إذن .. لكنني كنت قد تعبت جدا .. لن أحتمل أكثر .. سقطت على الأرض في يأس .. فليفعلوا بي أي شيء .. لكنني لن أجري خطوة أخرى .. وجدتني فجأة نائما على محفة و هناك نور قوي مسلط على عيني و بعض الوجوه الملثمة تفحصني في اهتمام.

- أخيرا أمسكنا به .. إنه عنيد
- حان الوقت إذن .. دعونا لانضيع المزيد من الوقت

إنهم أطباء على ما يبدو .. وأنا على سرير فحص طبي ما .. لكن لماذا تبدو آذانهم طويلة بهذا الشكل؟ أحدهم يمسك بمحقن ضخم جدا .. لكن يده غريبة المنظر جدا .. رأيت هذه اليد من قبل في فيلم مئة مرقش و

مرقش من ديزني .. يا إلهي .. هذا ليس إنسانا .. هنا فك اللثام على وجهه وقرب وجهه المرعب مني .. إنه ليس طبيبا .. إنه كلب .. وهناك سائل مقززيسيل من شدقيه على ملابسي ووجهي.

- ماذا تفعل يا دكتور؟
- أحاول أن أجعله يفيق ببعض الماء على وجهه
- ما هذا إنه يتحرك أخيرا

فتحت عيني لأجد طبيبا باسما يحمل كوب ماء .. وبجانبه تقف أمي المذعورة التي تنظر لي في شغف .. أشعر بألم رهيب جدا في بطني .. أين كنت؟ أين الكلاب؟ كان هناك زومبي أيضا .. يا إلهي .. هل كان كابوسا إذن؟ لكنني أحب الكوابيس .. إنها فيلم رعب تعيشه بالكامل .. و أمثالي يعشقون أفلام الرعب.

ما حدث هو ببساطة هو أنني تعرضت لعضة كلب في مقبرة الجنود .. وقد أخذت الآن ٢١ حقنة في بطني حتى شعرت أنني مصفاة مطبخ .. أفكر في حالي لو لم يخترعوا البنج .. كم هم عباقرة هؤلاء الأطباء.

طوال حياتي لاأفهم في الكلاب و أنواعها و الأسماء التي يسمونها بها .. هذا بوكسر .. وهذا بيتبول مفترس .. بينما هذا الصغير الأبيض المزعج هو كلب لولو .. بينما هذا رود ريفر راقي .. هم عندي كلهم كلاب .. نعم .. كلاب .. ولا فرق بينهم إطلاقا.

اسم هذه المستشفى هو مستشفى الكلب في مصر ، ياله من اسم .. إن بطني تتقطع من الألم .. لابد عندما تكون في مستشفى أن تأتي لحظة ما تكون فيها وحيدا .. لا أحد معك .. أمك قررت أخيرا أن تغادر المستشفى لتنام في البيت لتعود إليك في الصباح .. لقد ظلوا يقنعونها لساعات بأنه لا خطر هنالك .. وأن وجودها معك لن يسرع من شفائك .. ليتها لم تقتنع .. ليتها بقيت .. أنت الآن وحدك يا صديقي .. أجهزة باردة حولك في كل مكان .. رائحة شيء ما تشعرك أنك ستموت قريبا جدا .. كل شيء أبيض .. الأرض والجدران وملاءة السرير و ذلك الشيء الواسع الذي ألبسوك إياه أبيض أيضا .. صدقني لو أدخلو بعض الألوان الغامقة هنا و هناك كنت ستشعر بدفء أكبر .. ألم حاد جدا يجعلك تتلوى وتعض بأسنانك على تلك الوسادة البيضاء الباردة.

والآن فتح أحدهم الباب ، لم يدخل .. وإنما امتدت يده على عجالة وأطفأت النور الذي كان بجوار الباب .. ثم أغلقت تلك اليد الباب ثانية بهدوء .. الآن أنت ترتعش .. من قال أن ترك المرضى وحدهم يساعدهم على الشفاء؟ بالعكس .. إن وجود من يخفف عنك طوال الوقت بجانبك لهو أمر جميل .. المفترض أن تكون الزيارة ٢٤ ساعة و ليست بمواعيد محددة .. تبا لكل النظريات الطبية .. كم تتوق الآن ياصديقي لشخص ما يثرثر معك في أي شيء .. حتى لو كان سيحكي لك حكاية علي بابا.

أنت تخاف من الظلام .. اعترف بهذا أمامنا جميعا ياعزيزي .. سنك في ذلك الوقت ١٩ عاما وتخاف من الظلام .. ربما لأنك مدمن أفلام

رعب عتيق الطراز .. الآن بالذات تذكر كيف هو منظر مصاص الدماء عندما يسمع صوتا ما من خلفه فيلتفت ببطء بعينين مفتوحتين عن آخرهما و أنياب تتساقط منها دماء تلك المسكينة التي كان يمتص دمها منذ لحظات .. تذكر الآن بالذات كيف كان منظر تلك الفتاة التي نبشوا مقبرتها وفتحوا تابوتها .. ليجدوها راقدة مفتوحة العينين عن آخرهما و تنظر للكاميرا نظرة الموتى .. هل تعرف نظرة الموتى؟

تلتفت حولك من آن لآخر لتتأكد أن كل شيء على ما يرام .. الآن تذكر كل ما قرأته عن الجن و أنهم يرونك ولا تراهم .. وأن منهم أشرارا يحبون العبث بأعصاب الحمقى مثلك طيلة الوقت .. لابد أنهم لن يجدوا فريسة أسهل منك وأنت في هذا الوضع .. أسمع أن الجن في شكلهم الحقيقي أقزام بشعوا الخلقة .. البعض يقول أن الجن يحضرون لمن يذكرهم أو يفكر فيهم .. قد تنظر لآخر هذه الغرفة الآن لتجد أحدهم قد ظهر فجأة و مشى متجها لك بتؤدة.

تتقلب على جانبك الآخر وتغمض عينيك محاولا أن تنام فعلا .. الآن ترى خيالات أخرى بعد أن أغمضت عينيك .. خيالات أنت لا تتخيلها .. بل هي فقط تأتي إليك من حيث لا تريدها .. ترى الآن شكل تلك الفتاة التي لبسها الجن .. واقتربت منها الكاميرا لتسمعها تتكلم بصوت الجني الذي مسها .. تتذكر كابوسك .. منظر ذلك الكلب الأسود الغاضب ذو الزبد المتساقط من شدقيه .. تحاول الآن أن تنفض عن نفسك كل هذه الأفكار .. تحاول تذكر شكل بطوط .. أو شكل سيمبا من فيلم ليون كينج

.. تحاول أن تعد أفلام ديزني لتبعد عن نفسك تلك الخيالات السوداء .. يالك من تعس يا صديقي عندما يتركونك وحيدا ويرحلون.

ما هذه الأصوات بالخارج؟ كلاب؟ إنه صوت نباح كلاب تشتم بعضها البعض بغضب .. تخيل لو كنت بينهم الآن .. تبا لهذه الأفكار .. تفكر في أن تقوم لتقتح النور حتى تطمئن قليلا .. تحاول لكنك لا تستطيع .. بطنك كأن هناك إحدى و عشرين مخلبا اخترقها بعنف .. ماذا ستفعل؟ ها أنت تجذب إليك هذا الغطاء الأبيض البارد وتغطي وجهك .. إنك تبكي .. يالكبريائك .. أنت الذي كنت تضحك طيلة الوقت وتمزح مع هذا وذاك تبكي الآن وحيدا ولا يراك أحد ليخفف عنك أو ليسألك عما يبكيك.

إنه الصباح .. لا تدري كيف نمت ولا متى استيقظت .. تسمع حركة الناس بالخارج .. إنه الصباح .. الذي وصفه القرآن بأنه يتنفس .. ولو اجتمع كل أدباء العالم لما خرجوا بكلمة لها عشر جمال ودقة هذه الكلمة .. وبعد قليل ستدخل عليك أمك لتمسح على شعرك بحنان وتقول لك أنك ستخرج من هنا قريبا.

- إنه لم يعد مصطفى الذي نعرفه
- أنا أراه عاديا
- أنت لم تر ما رأيته .. لقد أصبح مفترسا .. أنت لم تره عندما كان يعض ذلك الفتى في تلك المشاجرة

- دكتور .. مرحبا بك .. أنا دكتورة نيفين والدة مصطفى.
- مرحبا دكتورة .. ما أخباره الآن؟
- لا أدري يادكتور .. لقد أصبح غريبا بعد خروجه من المستشفى .. لا يأكل الخضروات كما كان يحب .. فقط اللحوم .. و لايشرب الماء بحجة أن " ملهوش نفس"
- هل أنت متأكدة يا دكتورة؟ هذا كلام خطير

إن مذاق هذا الشيبسي جميل جدا .. كيف لم أفطن لهذا من قبل .. إنه شارع بيتنا .. لقد كان هناك ٤ كلاب تمرح في هذا الشارع لكن هيئة اصطياد الكلاب قتلتها كلها بالبنادق .. ياللقسوة .. الآن يبدو الشارع نظيفا حقا .. لكن مهلا؟ هناك شيء ما .. لقد مررت بجوار سور ذلك البيت الذي تحرسه تلك الكلبة الشرسة المربوطة بداخله التي تدعى ساندي .. الغريب أنها لم تقم من مكانها عندما رأتني .. لقد اعتدت عندما أمر بجوار هذا البيت أن تقوم ساندي وتنبح وتملأ الدنيا صياحا وكأنها رأت لوسيفر نفسه .. عندها أخرج لها لساني وأرمي عليها أي شيء في يدي ثم أجري مستمتعا بصوت نباحها الغاضب .. لكن كل هذا لم يحدث الآن .. لقد نظرت لي بلا مبالاة ثم حولت نظرها بعيدا.

- ماذا يفعل هذا المجنون؟ سيفضحنا أمام الناس
- يا إلهي إنه يمتص العظم بشراهة .. أتمنى ألا يلاحظه أحد
- هل أنت غبي؟ كل الناس في المطعم رأوه .. انظر

- أنا خائف يا مصطفى .. هذا ليس فيلما صدقني .. هذا حقيقة .. لا

يمكنهم أن يجعلوا الكلاب تمثل بهذه الدقة
- اخرس يا يوسف .. لقد فعلت المستحيل ليسمح لنا الرجل بالخارج أن ندخل هنا رغم أننا دون السن .. لقد دفعت له كثيرا
- لا يهمني .. سأرد لك مالك .. فقط أخرجني من هنا
- ستضيع نقود السينما كلها أيها الجبان .. اخرس وشاهد كالرجال

" مذكرتي العزيزة .. باختصار .. أنا أتحول تدريجيا إلى كلب .. يبدو أن حُقن المستشفى لم تجد نفعا مع عضة كلاب المقبرة .. عما قريب ستتحول أصابعي إلى مخالب ولن يكون بإمكاني الإمساك بالقلم .. أصبحت أحب مذاق العظم و النخاع الشهي الذي بداخله .. أصبحت أكره شرب الماء البارد الذي أنفر منه ومن برودته على حلقي و معدتي .. أحيانا أنظر لبعض إخوتي فتراودني أفكار في الانقضاض عليهم وعضهم .. أرى أن هناك شعرا نبت لي في أماكن غريبة جدا .. أرى أن صوتي قد أصبح أخشن بكثير فجأة .. أرى أن وجهي بدأ يصير غريبا ولم يعد صافيا كالسابق .. باختصار يا مذكرتي العزيزة .. أنا أتحول إلى كلب شرير .. "

- من كتب هذا السخف من الأولاد؟
- ابنك مصطفى
- إنه أحمق .. ناده فورا ليأتي إلى هنا
- الغريب أنه لم يكتب مذكراته من قبل أبدا .. لقد اشترى هذه النوتة الصغيرة وهذه الكلمات هي أول شيء كتبه فيها.

- ألن تكف عن إرعاب إخوتك طوال الوقت؟ أنت محروم من المصروف لمدة أسبوعين حتى تكف عن هذه العادة

- ولكن ..

- إخوتك لا زالوا صغارا و سيصدقون هذا الكلام السخيف الذي تكتبه

- ولكن يا أبي

- اذهب من أمامي أيها السخيف .. هيا

◄◁ ▷ ► ◄◁ ▷ ► ◄◁ ▷ ► ◄◁ ▷ ►

حديث نفس

"مجرد نفس تتحدث إلى نفسها .. وستظل تتحدث
و تتحدث حتى تموت"

هذا الجزء ليس حكايات .. مجرد خواطر ..
للقاريء أن يقرأها أو لا يقرأها .. فهي في النهاية
ليست شيئا يذكر .. مجرد حديث نفس .

يقولون إن من البيان لسحرا .. و أقول أنا كلما أراك .. إن من البياض لسحرا .. و إن من النساء لأميرات .. و إن من الرجال من لا يستحقون ظلالهن .

كان حلما جميلا حلمت به ذات ليلة .. و رأيته ذات ليلة .. و عشقته ذات ليلة .. ثم تزوجته ذات ليلة .

ذهبت فذهب الذهب عنه بريقه .. رحلت فرحلت الشمس إلى حيث ما رحلت .. سافرت فسافرت وإياها مفاتن الدنيا .. تطأ أرضا لا أطأها .. وتحادث أناسا لا أحادثهم .. وتعرف أمورا لا أعرفها .. أين أنت عني يا حبيبتي .. تركت الوجوه إلى وجوه أخرى .. يتمت قلوبا من بعدك لم يمت آباءهم .. أخذت معك كل ما كان في الهواء من عطرك .. إلى هواء آخر .. إلى عالم آخر .. يذكر فيه اسمك .. ويسمع فيه لحنك .. ويشرق به الناس .. لابارك الله لهم فيما رزقهم من جمالك الذي لم يخلق لغيري .

أتساءل بيني وبين نفسي عن أمور لم أفهمها .. كيف لرجل قارب الثلاثين يرقد على فراشه بعد يوم عمل مضن .. ينظر إلى السقف اللأبيض المهترىء في غرفته المستأجرة فيرى ملامح تتشكل فيه .. ينظر إلى جدران الغرفة الوردية التي لا يدري من غريب الأطوار الذي اختار ألوانها فيرى شفتين تتشكلان فيها وعينين ..

فيمسك هذا الرجل بهاتفه الجوال و يكتب شيئا ما ويرسله .. أتساءل عن قوة هذه الفتاة التي أرسل يقول لها .. أحبك .

ظلت كل تجربة قاسية مر بها تطفيء دفئا كان في نفسه .. حتى تحول الرجل إلى لوح من الثلج ... فلو حاولت أن تدفئه مرة أخرى أذبته .

كيف ينتصف الليل عند الثانية عشرة وبعدها بدقيقة يبدأ الصباح ؟ أين نصف الليل الآخر ؟

رأيته تمثالا من الثلج يمشي أمامي .. عيناه ترى الأرض في غرور و تعال .. كيف يوصف بالغرور من ينظر للأرض ؟ إنه هو .. أحببته هو .. أحببته بجليده الذي يصبغ به ملامحه و مشاعره .. والذي يهب ببرودته ليعتصر روحي و يضرب قلبي بخنجر من جليد بارد كلما تحدثنا .. من أي شيء خلقت ؟ كيف لا ترى نفسك في قلبي .. كيف لا ترى نفسك في عيني ؟ لو نظرت إليهما لثانية لرأيت .. لكن بخلك و تعاليك و غرورك يمنعانك أن تكمل حتى تلك الثانية ..

حبك كالبحر لا يندثر .. كالدهر لا ينقطع .. كالجبل لا ينكفيء .. كالأثير لا يختفي .. كالزمن لا ينتهي .. وكالروح لايموت.

ليت كل حلاوة أتت من حلاوتك .. و كل عطر أتى من عطرك .. ليت كل حروف الدنيا كانت حروف اسمك .. بل ليتني كنت عفريتا من الجن لأسكن بك .. أو قطة دافئة تتدلل بين ذراعيك .. أو دمية تشتاق لمسحة على شعرها بيديك .. ليتني كنت أبويك .. لأرى ذرات جمالك المعجز كلها تتطور من عينيك حتى أسفل قدميك .. بل ليتني كنتك أنت .. لأعرف بتفسي سر جمال نفسي .

لؤلؤة كانت .. صغيرة في بحر عظيم .. نورها بين أصدافها ..تروح عليها عيون وتأتي عيون .. إلى أصدافها ينظرون ..دهورا وراءها دهور .. حتى أتى ذلك الرجل .. فاستأذنها فأذنت له .. فنظر فإذا هي نور لم ير في الكون مثله .. فنظرت إليه فإذا هو قد استحال قمرا .. ليس لشيء إلا لأن نورها قد انعكس على سطحه المظلم .

رجل يحمل طفلا .. رجل يضرب طفلا .. ورجل يحتضنه رجل .. رجل يوجهه رجل .. رجل يتكيء على رجل .. رجل سند لرجل .. رجل من ظهر رجل .. رجل أب .. و رجل ابن .

يا قلبي لا تحزن .. فما أنت بمسمع سوى نفسك .. وما قلوب قد أغلقت أبوابها دونك بناظرة إليك .. واصبر على ألم روحك أيام حياتك الدنيا .. فما الدنيا سوى ساعة واحدة من ساعات الآخرة .

شعور غريب جدا .. الفرح والحزن الشديدين لما يحدثان في ذات الساعة فلا تدري أيهما تتبع تلك الدمعة .
لوكان الحب رائعا فلم يسبب كل هذا الحزن ؟ ولو كان سيئا فلم يسبب كل هذه السعادة ؟

الحب مرض يصيب القلوب فتصير من بعده عمياء على الدنيا كلها إلا على شخص واحد .. فلو أسعدها هذا الشخص الواحد تكون سعيدة ولو أحزنتها الدنيا بأسرها .. ولو أحزنها هذا الشخص الواحد تكون حزينة و لو أسعدتها الدنيا بأسرها .

هناك تعبير بسيط جدا و صادق جدا عن الحب نراه في أفلام الكارتون منذ كنا أطفالا .. فلو أحبت الشخصية الكارتونية شخصا ما تجد عينيها قد استبدلت بقلبين .. هذا ما يحاولون إفهامنا إياه منذ البداية لكننا نصر على تجاهله لما نصير كبارا .. كانوا يحاولون إخبارنا أن الحب أعمى .. ولقد أضافوا شيئا آخر هاما .. إن الشخصية تخرج لسانها أيضا .. أي أنك لا تصير فقط أعمى .. بل تكون أعمى و أبله .

أردنا المال .. فلما أتى المال ذهب العقل .. فأردنا العقل .. فلما أتى العقل ذهبت العاطفة .. فأردناها فلما أتت تزوجنا فذهب المال والعقل .

قال ذهب عني كل شيء .. وكرهني كل شيء .. إن ما يصيبني الآن لاشك أنه عمى ألوان .. فكلما رأيت شبح نور أبيض يأتى من ناحية .. صار أسود كالقطران إذا اقترب .. فإذا رأيت شيئا مظلما كريها في ناحية أخرى ، مشيت إليه بحذر .. فإذا اقتربت تهيأ لي كأنه نور أبيض حسن .. فأفرح فآتيه فإذا هو هاوية سحيقة أهوي فيها حتى لا تقوم بعد اليوم قائمة.

هناك كلمات عار عليك أن تسامح من قالها في حقك .. وهنيئا لقائلها أن ظل حيا بعد أن قالها ..

كان يشتكي إلى ربه دون أن يحرك شفتيه .. لم يك يريد حتى للملائكة أن تدري ماذا يقول لربه .. قال رب إني قد وهن عني كل شيء .. ووهنت على أن أكون أي شيء .. فيا مالك كل شيء .. أعد إلي كل شيء .. واجعل مني أي شيء .

▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁▶ ▷ ◀ ◁

الفهرس

عصير الكتب للنشر الألكتروني

